الإحالة باسم الإشارة عند المفسِّرين

- الألوسي أنموذجا –

دراسة نحوية دلالية

إعداد

د. إبراهيم بن هادي المباركي

عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

الملخص

المتأمل لتراثنا العربي يجد أن المفسرين قد بذلوا جهودًا مُضنية في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته ونظمه... إلخ، ومن وجوه إعجازه قوة التماسك بين أجزائه وألفاظه وآياته وسوره، وما فيها من اتساق نصيٍّ محكم.

لقد تلمَّس المفسرون هذا الجانب ووضعوا أيديهم على بعض مظاهره فأسهموا إسهامًا كبيرًا في تحليل النصوص، وأشاروا إلى كثير من قضايا الربط والتماسك من خلال القرائن الداخلية والخارجية للنص .

ومن أهم هذه الأدوات التي تؤدي إلى الربط والتماسك النصي: الإحالة ، حيث تعدُّ من أكثر الظواهر اللغوية انتشارًا داخل النص القرآني، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر «الإحالة باسم الإشارة في القرآن الكريم وبيان أثرها في اتساق النص وانسجام الخطاب، وذلك من خلال تفسير « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي » الذي عني في تفسيره بكثير من الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية.

ويختص هذا البحث بالإحالة باسم الإشارة وطرائقها وأنواعها من حيث النوع والجنس والعدد، ومن حيث سبقها لاسم الإشارة أو لحوقها بعده ، ومن حيث تطابق المحيل والمحال إليه في النوع والجنس والعدد أو تخالفهما ومن ثَمَّ الاحتياج إلى التأويل، كما يعني البحث بتوجيه الإحالة وكونها إلى واحدٍ أو متعدد، وكل ذلك من خلال القرائن الداخلية والخارجية التي تدل عليها. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي أفدت منه في الجوانب النظرية والتطبيقية في هذا البحث .

وقد تناول البحث هذه الدراسة في خمسة مباحث وفي نهايته خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات .

Abstract

Contemplating our Arab heritage, we find that the interpreters have made strenuous efforts in uncovering the facets of the miracle of the Holy Quran, its rhetoric, its cleverness, its systems, etc., and the facets of its miraculous strength of cohesion between its parts, its words, its verses and its language, and its consistent textual consistency.

The commentators touched on this aspect and put their hands on some of its manifestations. They contributed greatly to the analysis of the texts and pointed to many issues of connection and cohesion through the internal and external clues of the text.

The most important of these tools that lead to the linkage and textual coherence: Referral, which is one of the most widespread linguistic phenomena within the Koranic text, and this research aims to reveal the manifestations of «reference in the name of the reference in the Koran and the impact on the consistency of text and harmony of speech, «The spirit of meanings in the interpretation of the Great Qura'an and the sevenfold» of Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi », which he interpreted in many aspects grammatical and rhetorical and rhetorical.

This research is concerned with reference to the name, methods and types of the sign in terms of gender, gender and number, in terms of their precedence to the name of the sign or its subsequent suffix, and in terms of the match between the assignor and the assignee in the gender, number or number, or their differences and hence the need for interpretation. Multiple, and all through the internal and external clues that indicate. The study was based on the analytical descriptive approach that was reported in the theoretical and applied aspects of this research.

The research dealt with this study in five studies and at the end of the study, which included the most important findings and recommendations.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد:

فإن المتأمل لتراثنا العربي يجد أن المفسرين قد بذلوا جهودًا مُضنية في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم بلاغته وفصاحته ونظمه... إلخ، ومن وجوه إعجازه قوة التماسك بين أجزائه ألفاظه وآياته وسوره، وما فيها من اتساق نصيٍّ محكم.

لقد تلمَّس المفسرون هذا الجانب ووضعوا أيديهم على بعض مظاهره فأسهموا إسهامًا كبيرًا في تحليل النصوص، وأشاروا إلى كثير من قضايا الربط والتماسك من خلال القرائن الداخلية والخارجية للنص.

ومن أهم هذه الأدوات التي تؤدي إلى الربط والتماسك النصي: الإحالة ، حيث تعدُّ من أكثر الظواهر اللغوية انتشارًا داخل النص القرآني، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر «الإحالة باسم الإشارة في القرآن الكريم وبيان أثرها في اتساق النص وانسجام الخطاب، وذلك من خلال تفسير «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي» [(١)] الذي عني في تفسيره بكثير من الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية.

لقد اهتم الألوسي في تفسيره باستخراج الوسائل والأدوات التي أسهمت في تحقيق الوحدة النصية من خلال تحليله للنص القرآني على أنه وحدة تكاملية متسقة.

ومن ثَمَّ كان هذا التفسير مادةً للباحث لكشف اللثام عن مظهر من مظاهر اهتمام المفسرين بالإحالة وتحديدًا الإحالة باسم الإشارة؛ لكونها أداةً

(١) ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ، ومولده ووفاته ببغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدًا، تقلّد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، ومن أهم مؤلفاته: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، و«دقائق التفسير»، و«كشف الطرة عن الغرة»، و«شرح درة الغواص للحريري»، و«حاشية على شرح القطر» في النحو. ينظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي (١٧٦/٧).

مهمة من أدوات الربط النصيّ.

ويختص هذا البحث بالإحالة باسم الإشارة وطرائقها وأنواعها من حيث النوع والجنس والعدد، ومن حيث سبقها لاسم الإشارة أو لحوقها بعده ، ومن حيث تطابق المحيل والمحال إليه في النوع والجنس والعدد أو تخالفهما ومن ثَمَّ الاحتياج إلى التأويل، كما يعني البحث بتوجيه الإحالة وكونها إلى واحدٍ أو متعدد، وكل ذلك من خلال القرائن الداخلية والخارجية التي تدل عليها. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي أفدت منه في الجوانب النظرية والتطبيقية في هذا البحث .

وسأتناول في الدراسة خمسة مباحث ، وهي على النحو الآتي :

المبحث الأول: مفهوم الإشارة، وأنواع أسماء الإشارة.

المبحث الثاني: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإحالة ، وأهمية الإحالة باسم الإشارة .

المطلب الثاني: تناول النحاة والمفسرين للإحالة باسم الإشارة.

المبحث الثالث: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحالة الإشارية داخل النص وخارجه.

المطلب الثاني: الإحالة الإشارية القبلية والبعدية.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للإحالة باسم الإشارة الداخلية القبلية والبعدية، والإحالة الخارجية من خلال تفسير «روح المعاني» للألوسي.

المبحث الرابع: خصائص الإحالة الإشارية من خلال تفسير «روح المعاني» للألوسي.

المبحث الخامس: التأويل الإحالي عند الألوسي.

ثم الخاتمة وبها نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع والموضوعات

والله أسأل السّداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول
مفهوم الإشارة وأنواع أسماء الإشارة

مفهوم أسماء الإشارة:

الإشارة في اللغة: الإيماء، يُقال: أشار الرجل يشير إلى الشيء إشارةً، إذا أومأ إليه، ويكون بالكف والعين والحاجب(١).

فالإشارة إذن هي الإيماء إلى شخص أو شيء بواحد من هذه الثلاثة وغيرها، وقد تتحقق الإشارة دون نطق على الإطلاق.

قال القرطبي رحمه الله: «الإشارة بمنزلة الكلام، وتُفهم ما يُفهم اللفظ»(٢).

واسم الإشارة في اصطلاح النحاة(٣): اسم يُعيِّن مدلوله تعيينًا مقرونًا بإشارة حسيّة باليد ونحوها إن كان المشار إليه حاضرًا، كأن تشير بأحد أصابعك إلى كتاب، أو قلم، وتقول: ذا كتاب، ذا قلم، أو إشارة معنوية إذا كان المشار إليه معنى أو ذاتًا غير حاضرة، كأن تتحدث عن رأي أو مسألة في نفسك، وتقول: ذي مسألة تتطلب التفكير، أو تتحدث عن أخيك فتقول : ذلك الرجل الطيب.

أسماء الإشارة:

١) ما يشار به إلى «المفرد المذكر»: مطلقًا؛ أي: عاقلاً أو غير عاقل، وهو: ذا، وهو الأشهر(٤).

وتلحقه «ها» التنبيه في أوله فيكون للقريب نحو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣٤٨/٣)، ولسان العرب: «شور»، وتاج العروس: «شور».
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٤/١١).
(٣) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣٤٨/٣)، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش (٧٩٥/٢)، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان (١٨١/٣)، والنحو الوافي لعباس حسن (٣٢١/١).
(٤) وسمع عند العرب قولهم: «ذاءِ» بهمزة مكسورة عدا الألف، و«ذائِه» بهمزة مكسورة بعدها هاء مكسورة كذلك، و«ذاؤُهْ» بهمزة وهاء مضمومتين و«ألك» –للبعيد– بهمزة مفتوحة ممدودة هي اسم إشارة بعدها لام مكسورة للبعد، فكاف للخطاب «أي: ذلك». ينظر: شرح التصريح (١٢٦/١)، وحاشية الصبان (١٣٨/١)، والنحو الوافي (٣٢٢/١).

لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]، وتلحقه «كاف» الخطاب[١] في آخره، فيقال: «ذاك» نحو: «ذاك زيدٌ».

وقد تلحقه كاف الخطاب مع لام البعد، فيقال: «ذلك» فيكون للبعيد نحو قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

والمشهور أن مراتب الإشارة ثلاث: قربى ووسطى وبعدى[٢].

فللقريب «ذا» ، وللمتوسط «ذاك» إذا لحقتها الكاف وحدها ، وللبعيد «ذا» إذا لحقتها الكاف مع اللام «ذلك».

وذهب جماعة من النحاة[٣] إلى أن للإشارة مرتبتين: «القرب والبعد».

فإن أرادوا القرب جاؤوا بـ«ذا» أو بـ«هذا»، وإن أرادوا البعد جاؤوا بـ«ذاك» أو «ذلك».

٢) ما يُشار به إلى «المفردة المؤنثة» –عاقلة أو غير عاقلة– وهو عشرة ألفاظ:

أ– ما كان مبدوءا بالذال ، وهو خمسة «ذي، ذِه، ذهِ بكسر الهاء مع اختلاس كسرتها، ذهِ، بكسر الهاء مع إشباع كسرتها، ذات».

ب– ما كان مبدوءا بالتاء ، وهو خمسة «تي، تا، تهْ، تهِ بكسر الهاء مع اختلاس الكسرة، تهِ، بكسر الهاء مع إشباع الكسرة».

وتلحقها «ها» التنبيه، فيقال: «هذي، هذِهْ، هذِهِ، هاتي، هاتا، هاته»[٤].

ويُشار إلى البعيد بـ«تلك» نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾

(١) شبه النحاة هذه الكاف بتاء «أنت» في دلالتها على أحوال المخاطب من حيث الإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير والتأنيث، فيقال: «ذلكَ، وذلكِ، وذلكما، وذلكم، وذلكن» فيكون تصرفها تامًّا، وقد تتصرف تصرفًا ناقصًا فتفتح في التذكير وتكسر في التأنيث، وقد لا تتصرف فتبنى على الفتح في كل أحوال الخطاب. ينظر: شرح المفصل (٣٦٧/٢)، وحاشية الصبان (٢١٥/١٠-٢١٦)، والنحو الوافي (٣٢٤/١).

(٢) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب السهيل لأبي حيان (١٩١/٣)، وشرح المكودي على ألفية ابن مالك (٣٢/١).

(٣) قال ابن مالك: «وهو الصحيح». ينظر: شرح تسهيل الفوائد لابن مالك (٢٤٢/١).

(٤) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣٦٦/٢).

[النازعات: ١٢] واللام لام البعد، والكاف حرف خطاب.

٣) ما يُشار به إلى المثنى المذكر: عاقلاً أو غير عاقل وهو «ذان» في حالة الرفع، وفي حالتي النصب والجر «ذين».

وتلحقها «ها» التنبيه فتكون للقريب، قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: ١٩].

وتلحقها «كاف» الخطاب فتكون للبعيد، قال تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢].

٤) ما يشار به إلى المثنى المؤنث: عاقلاً أو غير عاقل، وهو «تان» في حالة الرفع، و«تين» في حالة النصب والجر.

وتلحقها «ما» التنبيه فتكون للقريب نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧].

وتلحقها «كاف» الخطاب فتكون للبعيد، كأن تسأل عن امرأتين فتقول: «كيف تانك المرأتان؟»(١)

وتقول في حالة النصب والجر: إن تينك عفيفتان، استمعت إلى تينك.

٥) ما يشار به إلى الجمع مطلقًا: أي: مذكرًا ومؤنثًا، عاقلاً وغير عاقل، وهو «أولى»، وفيها لغتان «المد»، أي : «أولاء» وهي لغة أهل الحجاز ، وهي الواردة في القرآن الكريم، و«القصر» أي «أولى» وهي لغة بني تميم.

وتلحقها «ها» التنبيه فتكون للقريب ،كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٨٥].

وتلحقها «الكاف» فتكون للبعد، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٥].

(١) ينظر: اللمع في العربية لابن جني (ص٢٧٣)، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري (ص٣٣٩).

٦) ما يُشار به إلى المكان: يُشار إلى المكان بالظرفين «هنا» و«ثَمَّ» وهي مختصة بالإشارة إلى المكان، بخلاف باقي أسماء الإشارة الأخرى التي يشار بها إلى المكان وغيره.

والمكان إذا كان ظرفًا أُشير إليه بـ«هنا» أو «ثَمَّ» ولا يُشار بغيرهما، فيقال: «هنا أقام الجيش»، ولا يقال: «هذا أقام الجيش». أما إذا لم يكن المكان ظرفًا فيشار إليه بالأسماء الأخرى نحو «هذا مكان طيب»، فهذا: مبتدأ وليس ظرفًا، فإذا قلت: «هنا مكان طيب» كان «هنا» ظرفًا(١).

ويشار بـ«هنا» للقريب، وقد تلحقها «ها» التنبيه فيقال: «ههنا».

و«هناك» للمتوسط، و«هنالك» للبعيد، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١].

وقد يدخل على صيغة «هنا» بعض التغيير فتصير اسم إشارة للمكان البعيد، فيقال: «هَنَّا – هِنَّا – هَنَّت» فهذه كلها تفيد مع الظرفية الإشارة إلى المكان البعيد.

وأمَّا «ثَمَّ» فيشار بها إلى المكان البعيد، قال تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] أي: هناك.

وقد يُشار بـ«هنالك وهناك وهَنَّا» إلى الزمان(٢)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٣٦٨/٢)، والتذييل والتكميل (٢١٠/٣)، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي (٤١٩/١).
(٢) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢٥٠/١).

المبحث الثاني :

المطلب الأول : مفهوم الإحالة، وأهمية الإحالة الإشارية

التعريف اللغوي: الإحالة مصدر الفعل «أحال».

وللإحالة عدة معانٍ لغوية ذُكرت في المعاجم، ومن أهم ما ورد في تعريف الإحالة:

١- أحال الكلام: عدل به عن وجهه وأفسده، وأحال أتى بالمحال من الكلام(١).

٢- أحال الشيء: انتقل من حال إلى أخرى ومن موضع إلى آخر(٢).

٣- أحال عليه الكلام: أقبل عليه(٣).

٤- أحال فلانًا على فلان: حوله عليه.

٥- أحال الشيء: أتى عليه حولٌ كامل(٤).

ويلخص لنا ابن فارس المعنى العام الذي تدور عليه مادة الفعل «ح، و، ل».

يقول ابن فارس: «الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرّك في دَوْر، فالحول العام ؛ وذلك أنه يحول أي: يدور... يقال: حال الرجل في متن فرسه يحول حولاً وحُؤولاً، إذا وثب عليه، وأحال أيضًا، وحال الشخص يحول إذا تحرك»(٥).

ومن خلال ما ذُكر نستطيع أن نقول: أن المعنى العام لمفهوم الإحالة لغة يدور حول «الحركة والتغيُّر والتحوُّل» وهذه المعاني ليست بعيدة عن المفهوم الاصطلاحي للإحالة ؛ إذ إنها لا تتم إلا بوجود علاقة، وكذلك ما يجري بين المُحيل والمحال إليه فهذه العملية لا تتم إلا بوجود علاقة بينهما.

(١) ينظر: لسان العرب، مادة «حول» (١٨٤/١١)، والمعجم الوسيط، مادة «حول».
(٢) ينظر: السابق الموضع نفسه، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة «حول»، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة «حول» (٣٦٦/٢٨).
(٣) ينظر: لسان العرب، مادة «حول» (١٨٤/١١).
(٤) المعنيان الرابع والخامس من لسان العرب، مادة «حول» (١٨٤/١١).
(٥) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة «حول» (١٢١/٢).

الإحالة اصطلاحًا:

الإحالة مصطلح قديم ، لكنه بمفهومه الواسع من خلال تطبيقاته في علم اللغة النصي، يُعَدُّ مصطلحا جديدا من هذه الزاوية.

ومن أهم ما ورد في تعريفها اصطلاحًا:

أ- عَرَّفها روبرت دي بوجراند بأنها: «العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تسير عليه العبارات»(١).

ب- وعرفها كلماير بأنها: «العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه «عنصر علاقة»، وضمائر يطلق عليها «صيغ الإحالة»...»(٢).

ج- ويقول جون لاينز: «العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة ؛ فالأسماء تحيل إلى المسميات»(٣).

وممن تناولها من العرب محمد خطابي في كتابه «لسانيات النص» ولم يفردها بتعريف، ومما ورد في كتابه –في معرض حديثه عن الإحالة- أنها عبارة عن «وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وإنما تحيل إلى عنصر آخر؛ لذا تسمى عناصر محيلة، مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة»(٤).

ويمكن أن أُعرِّف الإحالة أنها: «علاقة مفهوميّة بين عنصرين، أحدهما عنصر لغوي، والآخر عنصر لغوي أو خارجي، بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني أو العكس ».

ومعنى قولي: «علاقة مفهومية» أي: فهم المعنى الذي يقصده المتكلم أو صاحب النص؛ فالفهم غاية والإحالة وسيلة.

يقول الدكتور أحمد عفيفي: «وإذا كانت الإحالة مرتبطة بالنص وكلماته من حيث الترابط اللفظي الملحوظ فإننا لا نغفل أن تكون الإحالة من قبيل

(١) النص والخطاب والإجراء (ص١٧٢).
(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، للدكتور سعيد بحيري (ص٨٢).
(٣) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي (ص١١٦).
(٤) ينظر: لسانيات النص (ص١٤-١٥).

الترابط المفهومي، فهو الهدف والغاية»[١].

ويقول الدكتور تمام حسَّان: «الإحالة من وسائل السبك[٢]، وهي تؤدي إلى الالتحام النصي من الناحية المفهومية»[٣].

وأقصد بقولي: «أحدهما عنصر لغوي» أي: العنصر الكنائي المحيل «المبهم» الذي يحتاج إلى تفسير كضمائر الغيبة وأسماء الإشارة والاسم الموصول.

«والعنصر الآخر لغوي أو خارجي» أي: المحال إليه، وهو الذي يتكفل بعملية التفسير ، وقد يكون داخل النص أو خارج النص يفهم بقرائن السياق.

أهمية الإحالة:

للإحالة أهمية كبيرة داخل النص؛ إذ هي وسيلة ربط دلالية بين أجزاء النص، ومع أن الإحالة تقوم بمهمة «إيصال وفهم المعنى» أو الغرض الذي يقصده المحيل إلا أن للإحالة أهمية أخرى لا تقل عنه، ومن ذلك أنها تقوم بمعالجة النص من خلال مبدأ الاقتصاد اللفظي والثبات المعنوي، حيث إن استخدام الإحالة لألفاظها الكنائية التي توصف بالاختصار عما تحيل إليه إنما هو من قبيل مبدأ الاختصار والإيجاز.

يقول روبرت دي بوجرند عن الإحالة: «هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل»[٤].

والإحالة وسيلة لإنعاش الذاكرة عن طريق الربط الذي تقوم به، يقول الدكتور تمام حسان: «علاقة الربط وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه

(١) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي (ص٤).
(٢) السبك أو التضام أحد المعايير النصية السبعة وهي:
١- السبك أو التضام.٢- الحبك أو الالتحام.
٣- القصد أو القصدية.٤- القبول أو التقبلية.
٥- رعاية الموقف أو الموقفية.٦- الإعلامية.
٧- التناص.
(٣) ينظر: «النص والخطاب والإجراء» روبرت بوجراند ، ترجمة الدكتور تمام حسان : (ص٣٢٧).
(٤) النص والخطاب والإجراء (ص٢٩٩).

الغاية»[١].

فتعيننا على التأمل والتدبر فيما تحال إليه هذه الألفاظ الكنائية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : تناول النحاة والمفسرين للإحالة الإشارية

للنحاة القدامى جهود طيبة في ذكر معالم الإحالة، وليس بالضرورة أنهم وضعوا في النحو العربي مفهومًا مباشرًا للإحالة كما هو موجود بالدراسات اللسانية الحديثة، فهذا لا يعني إغفالهم له، بل يمكن القول أنهم وضعوا تصورات للإحالة من خلال موضوعات «الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة».

ومما يمكن أن نلمحه من تصورات للنحاة حول الإحالة باسم الإشارة ما يلي:

أولاً: نصَّوا أن أسماء الإشارة «العنصر المحيل» مبهمة، وأنها تحتاج إلى عنصر آخر «المحال إليه» ليزيل إبهامها ويفسرها. يقول ابن يعيش: «وهي ضرب من المبهم»[٢].

ثم عللوا سبب إبهامها، وهو كما يقول سيبويه: «لوقوعها على كل شيء»[٣]، ويقول المبرِّد لأنها «لا تخصُّ شيئًا دون شيء»[٤].

وقال ابن يعيش: «ويقال لهذه الأسماء مبهمات؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب، فلم يدرِ إلى أيها تشير، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس»[٥].

ولا شك أن إشارة النحاة إلى احتياج هذه الأسماء إلى ما يفسرها ويزيل إبهامها يدل على أن عناصر الإحالة المحيل والمحال إليه حاضرة عندهم.

ثانيًا: نصَّ النحاة أن أسماء الإشارة تتعرف بالإشارة الحسيّة، أو بالإشارة إلى ملفوظ به أو مذكور سابق، يقول ابن يعيش: «ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك، فتعريف الإشارة أن

(١) البيان في روائع القرآن (١٢٨/١).
(٢) شرح المفصل (٣٥٢/٢).
(٣) ينظر: الكتاب (٧٧/٢، ٧٨).
(٤) المقتضب (١٨٦/٣).
(٥) شرح المفصل (٣٥٢/٢).

تخصّص للمخاطب شخصًا يعرّفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختصّ شخصًا يعرفه المخاطب بقلبه، فلذلك قال النحويون : إن أسماء الإشارة تتعرّف بشيئين: بالعين وبالقلب»[١].

ثالثًا: تحديدهم الدقيق لما يشير إليه كل نوع من أنواع أسماء الإشارة من ناحية الجنس، ومن ناحية العدد، ومن ناحية القرب والبعد، وذكرهم لمراتب الإشارة بأنها ثلاث، واختلافهم فيها، وحديثهم عن كل ما يتصل بهذه الأسماء من أدوات كـ«ها» التنبيه، و«لام» البعد، و«كاف» الخطاب، وذكر مقاصد ما يدل عليه الاسم إذا اتصل بها – كل ذلك إنما كان بغية الترابط اللفظي من ناحية تطابق هذه الأسماء مع ما تشير إليه لغرض فهم المعنى وعدم إلباسه.

أما المفسرون فقد اهتموا بأسماء الإشارة بأنواعها، وتنوع تناولهم لها، وتراوحت جهودهم في بيان ما يلي[٢]:

أولاً: الاهتمام بتوضيح المحال إليه وتحديده، وهل هو شيء محدد أم متعدد.

ثانيًا: الإشارة إلى مسألة تعدد المحال إليه، والأسباب التي تؤدي إلى احتمالية التعدُّد.

ثالثًا: الاهتمام بإبراز ما تقوم به الإحالة باسم الإشارة من دور مهم في تماسك الخطاب.

رابعًا: اهتمامهم بالقرائن الداخلية والخارجية التي تعينهم على تحديد المحال إليه.

خامسًا: إبراز مسألة عدم التطابق بين المحيل والمحال إليه.

سادسًا: إلقاء الضوء على مراتب الإشارة وما يرد للبعيد أو للقريب، وبيان الأسرار البلاغية في التعبير بما يفيد البعد للقريب والعكس.

(١) المرجع السابق: الموضع نفسه.
(٢) ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، للدكتورة خلود الغموش (ص٢٣٨).

المبحث الثالث

المطلب الأول : الإحالة باسم الإشارة داخل النص وخارجه

للإحالة باسم الإشارة أهمية كبيرة في اتساق النص القرآني، وذلك لما تقوم به من دور فعَّال في تماسك النص القرآني، وهي بهذا الدور تحقق وظيفتين، هما: الترابط التركيبي، والترابط الدلالي(١).

وللإحالة باسم الإشارة عنصران، العنصر الإشاري الأول «المحيل»، وهو اسم الإشارة، والعنصر الثاني «المحال إليه» وهو الذي يفسر اسم الإشارة.

و«المحال إليه» قد يكون موجودًا داخل النص القرآني ضمن نطاق الآية أو المقطع أو السورة أو ضمن نطاق القرآن.

وفي هذا النوع تقوم الإحالة باسم الإشارة بدور فعّال في تماسك النص واتساقه بشكل مباشر(٢).

وتسمى الإحالة في هذا النوع إحالة «نصيّة، داخلية»(٣).

وقد يكون «المحال إليه» خارج إطار النص القرآني، ومن ذلك ما كان مدلولاً عليه بأسباب النزول أو المرويات والوقائع التي حدثت في زمن الوحي، أو ما يكون مدلولاً عليها بعهد ذهني يدركه المتلقي كعادة العرب، وتسمى الإحالة في هذا النوع إحالة «مقامية، خارجية»(٤)، ومع أهمية هذا النوع إلا أنه لا يُعدُّ من وسائل السبك النصي.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فالإحالة الإشارية بـ«هذا» وإن كانت مذكورة سابقًا وهي «رزقًا» إلا أن الحضور الحسي البصري في ذلك الموقف

(١) ينظر: نسيج النص (ص١٢٢).
(٢) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة للدكتور أحمد عفيفي، ضمن كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية «العربية بين نحو الجملة ونحو النص» : ص٥٤٣ .
(٣) أي: موجودة داخل النص.
(٤) أي: بإشارة حسيّة إما بالنطق، أو بالبصر في حضور المتكلم.

قد أغنى عن المذكور السابق.

ومما يحسن الإشارة إليه أنه بعد زمن التنزيل لم يعد من الممكن إدراك الحاضر للمتلقي، وهذا يستدعي البحث عن قرائن أخرى تدلُّ المتلقي على المحال إليه... ومن ثَمَّ كان لا بد من تحول قرينة العهد من الحضور الآني في مقام الخطاب إلى الذّكر في الكلام أو العلم بوسيلة خارجية، بمعنى أن تنصب قرينة في السياق المقالي تدل على من كان حاضرًا في مقام الخطاب، أو يُعَوَّل في ذلك على الروايات المصاحبة المبيّنة لمقام الخطاب؛ والتي تُنشئ عهدًا ذهنيًا لدى سامعها يعتمد عليها في إتمام عمليات الإحالة من محيلات حضورية إلى ما تحيل إليه، وهذا ما يسمى بتحول العهد الحضوري إلى عهد ذكري أو ذهني، ومنه الخطاب المحكي في القرآن الكريم فالإحالة فيه خارجية، حتى ولو كان مفسّر المحال إليه موجودا في النص سابقا أو لاحقا للمحيل ، وبالتالي تكون مواضع الإحالة الداخلية مقصورة على المواضع التي يكون الخطاب فيها موجها إلى متلقي النص القرآني ، إشارة إلى مذكور سابق أو لاحق للمحيل[١] .

المطلب الثاني : الإحالة باسم الإشارة القبلية والبعدية

الإحالة باسم الإشارة «النصية الداخلية» إما أن تسبق اسم الإشارة «المحيل» فتسمى «إحالة قبلية»[٢]، وإما أن تتأخر عنه، فتسمى «إحالة بعدية».

وتتميز الإحالة باسم الإشارة عن الإحالة بالضمير أو بالاسم الموصول بأنه لا يوجد قيدٌ نحوي مفروض عليها من ناحية التقدم أو التأخر عن «المحيل»، فلا يوجد قاعدة نحوية تمنع تقدمها أو تأخرها، بخلاف الإحالة بالضمير فإن الأصل عند النحاة أن تكون الإحالة متقدمة عن الضمير باستثناء ضمير الشأن، وبخلاف

(١) ينظر: الإحالة في القرآن الكريم للدكتور ثامر عبد الحميد محي الدين، ص٢٠٠ .
(٢) ينظر: لسانيات النص (ص١٧).

الإحالة بالاسم الموصول؛ إذ الأصل عند النحاة أن تكون إحالته إلى جملة الصلة التي تأتي بعده.

وهذا يجعل أفق الإحالة باسم الإشارة أوسع؛ فإدراك المتلقي للإحالة القبلية قد يكون سهلاً، أما إدراكه للإحالة البعدية فيحتاج إلى أن يظل يقظًا باحثًا عن موضع الإحالة. يقول الدكتور أحمد عفيفي عن الإحالة البعدية، هي «سلاح ذو حدين فهي إما أن تجعل المتلقي متحفزًا متشوقًا إلى مرجع هذا اللفظ الكنائي ومفسره فيظل دائمًا في يقظة لصنع هذا الربط، وإما أن تقلل من دقة متابعته، فيظل المعنى مشوشًا حتى يجد المرجع، فإذا وجد المرجع فقد يحتاج إلى قراءة النص مرة أخرى للبحث عن ترابط واتساق بين أجزاء النص، وربما صعب عليه ذلك إذا كان مستمعًا لحوار ربما يكون قد انتهى، وهذا يجعل أمر الإحالة البعدية عسيرًا أحيانًا وربما كان هذا سبب قلة استخدامها»[(١)].

المطلب الثالث

نماذج تطبيقية للإحالة باسم الإشارة الداخلية والخارجية من خلال تفسير «روح المعاني».

*** أولا: الإحالة بـ(هـذا):**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]

ذكر الألوسي[(٢)] أن الإشارة إلى الوادي المذكور بقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. و الإحالة هنا خارجية، لأنها من الكلام المحكي، وهي مكانية، والملاحظ أن الألوسي سعى إلى ما يمكن أن تعود إليه هذه الإحالة من خلال استحضار الآيات التي تدله عليها .

(١) الإحالة في نحو النص (ص٥٤٤).
(٢) ينظر : روح المعاني: (٣٨١/١).

ومنـــــه قولـــــه تعـــــالى ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ذكر الألوسي [١] ثلاثة احتمالات للإحالة بهذا :

الأول : أنها إحالة إلى القرآن ، وردّ هذا الوجه بقوله (وخُدِش بأنه بعيد عن السياق)

والثاني : أنها إحالة إلى ما لخِّص من أمر الكفار والمتقين والتائبين .

والثالث : أنها إحالة إلى ما سلف من قوله سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ الخ ، في الآية التي قبلها مباشرة .

والإحالة تحتمل أن تكون إحالة داخلية نصية أو إحالة خارجية مقامية ، والملاحظ أن الألوسي استبعد أن تكون الإحالة مقامية بقرينة السياق كما في الرأي الأول، وأبقى المسألة على الاحتمالين الآخرين، فتكون الإحالة نصية داخلية قبلية .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]. فقد ذكر الألوسي أن الإحالة بهذا إلى المذكور في شأن عيسى عليه السلام كما قال ابن عباس[٢].

وفي المحال إليه ذكر المفسرون ثلاثة أوجه، وبناء على ما اعتمده الألوسي فالإحالة داخلية قبلية، والمحال إليه الآيات التي سبقت هذه الآية، وقد اعتمد الألوسي على وحدة المقطع القرآني، وبالتالي رجّح وجها واحدا.

وقال أبو حيان: (والإشارة إلى القرآن على قول الجمهور، والظاهر أنه إشارة إلى ما تقدم من أخبار عيسى، وكونه مخلوقاً من غير أب، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، وغيرهم. أي: هذا هو الحق لا ما يدعيه النصارى فيه من كونه إلهاً أو ابن الله، ولا ما تدعيه اليهود فيه، وقيل: هذا

(١) ينظر : المرجع السابق : (٦٥/٤).
(٢) روح المعاني: (١٩٠/٣).

إشارة إلى ما بعده من قوله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويضعف بأن هذه الجملة ليست بقصص وبوجود حرف العطف)[١].

ومنه قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. فقد عيّن الألوسي الإحالة بهذا في ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ بأنها للسامري ، وعيّن الإحالة بهذا في ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ بأنها للرجل من القبط واسمه قانون ثم قال (والإشارة بهذا واقعة على طريق الحكاية لما وقع وقت الوجدان كأن الرائي لهما يقوله لا في المحكي لرسول الله ﷺ... وهذه الإشارة قائمة مقام الضمير في الربط)(٢) و الإحالة خارجية مقامية، فقد استعان الألوسي بما ورد في أخبار بني إسرائيل، وأشار الألوسي هنا لخصيصة من خصائص الإحالة باسم الإشارة ، وهي أن حكاية الحال الماضية بأسماء الإشارة تجعل الإحالة باسم الإشارة في حكم الحاضرة.

ومنه قوله تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] فقد أورد الألوسي[٣] احتمالات متعددة للإحالة، فهي إما أن تكون للإيحاء من قوله تعالى ﴿نُوحِيهَآ﴾ أو للعلم المكتسب من قوله ﴿تَعْلَمُهَآ﴾ فتكون الإحالة داخلية قبلية، وقد تكون الإحالة للوقت أو للقرآن فتكون خارجية ، ويجوز أن تكون الإحالة في مصحف ابن مسعود للقرآن فتكون داخلية بعدية.

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

(١) البحر المحيط (٢ / ٥٠٥).
(٢) روح المعاني: (٢٠ / ٥٣).
(٣) روح المعاني: (٧٥/١٢).

وجّه الألوسي[١] الإحالة بهذا بأنها إلى القرآن الجليل المدلول عليه بـ ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾. فالإحالة باسم الإشارة خارجية، وقد استعان الألوسي بقرينة من داخل النص لتعيينها.

ومنه قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨] قال الألوسي: (قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ فإن تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من أوقات العام، أي: لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين أمر أبو بكر ﷺ على الموسم، ويدل عليه نداء علي . كرم الله تعالى وجهه . يوم نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك، وكذا قوله سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ أي فقرا بسبب منعهم لما أنهم كانوا يأتون في الموسم بالمتاجر ، فإنه إنما يكون إذا منعوا من دخول الحرم كما لا يخفى) [٢]. فالإحالة خارجية، وقد استعان الألوسي بعدة قرائن عليها، ومن ذلك اعتماده على الأخبار المروية في شأن أبي بكر وعمر ﷺ والموقف الاتصالي في ذلك الزمان وهذه قرائن مقامية، وكذلك إيراده لآخر الآية ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فهذه قرينة داخليّة تعين على إيضاح الإحالة.

ومنه قوله تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

أورد الألوسي [٣] ثلاثة احتمالات لتوجيه الإحالة بهذا ، وهي أن تكون للآيات السابقة المذكورة من قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ [إبراهيم:

(١) روح المعاني: (٩ / ١٥٠).
(٢) روح المعاني: (١٠ /٧٧).
(٣) روح المعاني: (٢٥٨/١٣).

٤٢] إلى هذه الآية ، فتكون الإحالة داخلية قبلية أو تكون الإحالة للسورة أو للقرآن، فتكون الإحالة خارجية. ثم رجّح أن تكون الإحالة داخلية، وعلّل بأن المعنى عليه أبلغ، وانسجام الخطاب أقوى حيث قال (والكلام على الأول أبلغ فكأنه قيل: هذا المذكور آنفاً كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوت عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد..). وهذا ملمح مهم عند الألوسي، وهو أن الإحالة إذا تعددت في درجة القوة واحتملت أن تكون داخل النص أو خارجه، فالمرجّح ما كان داخل النص.

* ويتجاوز الألوسي هذا المظهر ليرجح كونها إحالة مقامية، بواسطة قرينة من داخل النص، فالإحالات إذا تعددت عنده، فإنه يعود للقرائن، والإحالة التي تعضدها قرينة من داخل النص أولى.

ومن ذلك تفسيره للإحالة في (هذا) في قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]. رجّح الألوسي أن تكون الإحالة بهذا إلى الذي بُيّن في القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها كما ينبىء عنه ما سيأتي إن شاء الله تعالى من قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٦٦] الخ .

وأورد الألوسي عدة أقوال في الإحالة بهذا ، وهي الإشارة إلى القرآن الكريم وما بُيّن فيه مطلقاً، أو إلى ما عليه أولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة ،أو إلى الدين بجملته، أو إلى النبي ﷺ[1].

ووضوح الإحالة الداخلية عند الألوسي يجعلها في حكم المعلوم الذي لا يحتاج إلى تنبيه ، ففي كثير من مواضع الإحالة الداخلية لا يشير إليها بسبب وضوحها .

(١) ينظر : روح المعاني: (٤٧/١٨).

*** ثانيا: الإحالة بـ(هـــــذه):**

ومنه قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. ذكر الألوسي عدة أقوال في تعيين هذه الشجرة ، فقيل: الحنطة، وقيل: النخلة، وقيل: شجرة الكافور ، وقيل: التين، وقيل: الحنظل، وقيل: شجرة المحبة، وقيل: شجرة الطبيعة والهوى . ثم قال (والأولى: عدم القطع والتعيين، كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة) [(١)].والإحالة بهذه في الآية داخلية بعدية .

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨]. ذكر الألوسي أن الإحالة بهذه في الآية إلى بيت المقدس ، وذكر أن هذا القول هو المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسدي، والربيع، وغيرهم وإليه ذهب الجمهور [(٢)]. فالإحالة داخلية بعدية ، وقد عيّن الألوسي مدلول (القرية) بالمرويات والآثار .

ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].ذكر الألوسي أن الإشارة بـ (﴿هَٰذِهِۦ﴾ إلى ما هم فيها ، المعبر عنها بالظلمات [(٣)].

فالإحالة هنا خارجية تعود للموقف الذي كانوا فيه، والظلمات قرينة داخلية أفادت في تعيين هذه الإحالة.

– ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ

(١) روح المعاني: (١/ ٢٣٤).
(٢) روح المعاني: (١/ ٣٢٦).
(٣) ينظر : روح المعاني: (٧ /١٧٩).

﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨]. الإحالة ب﴿هَٰذِهِۦ﴾ . كما ذكر الألوسي . إلى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر [١]. فالإحالة هنا خارجية وإن كانت هناك قرينة داخلية أعانت عليها، وهي الآية السابقة ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

ومنه قوله تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] ذكر الألوسي[٢] ثلاثة أقوال للإحالة باسم الإشارة (هذه)، وهي إما أن تكون إلى السورة أو الأنباء المقتصة المذكورة ، فتكون الإحالة داخلية، وإما أن تكون إلى الدار الدنيا ، فتكون الإحالة خارجية واستبعدها الألوسي .

وقال الرازي: (وفي قوله: ﴿فِى هَٰذِهِ﴾ وجوه: أحدها: في هذه السورة. وثانيها: في هذه الآية. وثالثها: في هذه الدنيا، وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع) [٣].

ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

وجّه الألوسي الإحالة في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ بأنها إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة [٤]. فالإحالة داخلية كما نص عليها الألوسي .

(١) المرجع السابق: (٣٤/٨).
(٢) المرجع السابق : (١٦٧/١٢).
(٣) مفاتيح الغيب: (١٢ / ٦٤).
(٤) روح المعاني: (٢٩ / ١١٠).

*** ثالثا: الإحالة بـ (هـــذان):**

وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

الإحالة في هذه الآية باسم الإشارة (هذان) خارجية تعود على موسى وهارون عليهما السلام، ولم يتحدث الألوسي عن هذه الإحالة؛ لأنها واضحة ومعلومة، وإنما اعتنى بالأوجه الإعرابية لقوله تعالى ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾.

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

قال الألوسي: (﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ تعيين لطرفي الخصام وتحرير لمحله فالمراد بـ﴿هَٰذَانِ﴾ فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس. وروي عن ابن عباس ﷺ ما يؤيد ذلك ، وبه يتعين كون الفصل السابق بين المؤمنين ومجموع من عطف عليهم...وأخرج البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني ، وغيرهم ، عن أبي ذر ﷺ أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين بارزوا يوم بدر هم حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحرث، وعلي بن أبي طالب، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة . وأما ما قيل من أن المراد بهذين الخصمين الجنة والنار فلا ينبغي أن يختلف في عدم قبوله خصمان أو ينتطح فيه كبشان) [(١)].

والملاحظ هنا أن الألوسي ذكر ثلاثة أقول في الإحالة، في اثنين منهما الإحالة خارجية، ورجّح أن تكون الإحالة داخلية إلى فريق المؤمنين والكفرة في الآية السابقة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ [الحج: ١٧].

(١) روح المعاني: (١٧/ ١٣٣).

*** رابعا: الإحالة بـ (هـاتان):**

وردت الإحالة باسم الإشارة (هاتان) في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧].

وذكر الألوسي [١] أن في قوله تعالى ﴿ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ إيماء إلى أنه كانت له بنات أخر غيرهما.. وأن الإشارة لدفع إرادة غيرهما من ابنتيه الأخريين له من بينهن.

والإحالة في هذا الموضع إلى ابنتي شعيب –عليه السلام– صاحب الخطاب، وهي إحالة داخلية قبلية .

*** خامسا: الإحالة بـ (ذلك)**

ومما ورد في الإحالة بذلك قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١-٢].

ذكر الألوسي أن الإحالة باسم الإشارة ذلك تحتمل ثلاثة مواضع، وقد رجّح منها الأول، وخلاصة ما ذكره ما يلي:

١- القرآن ، قال الألوسي (والذي تنفتح له الآذان أنه إشارة إلى القرآن، ووجه البعد ما ذكره صاحب المفتاح . ونور القرب يلوح عليه . : والمعتبر في أسماء الإشارة هو الإشارة الحسية التي لا يتصور تعلقها إلا بمحسوس مشاهد فإن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه نحو ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [غافر: ٦٢] أو إلى محسوس غير مشاهد نحو ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [مريم: ٦٣] فلتصييره كالمشاهد وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسية كما في الرضى فالإشارة هنا لا تخلو عن لطف)(٢). والإحالة داخلية بعدية هنا عضدتها قرينة داخلية.

(١) روح المعاني: (٦٧/٢٠).
(٢) روح المعاني: (١٠٥/١، ١٠٦).

٢- التوراة والإنجيل والآية على لسان موسى وعيسى، والإحالة الخارجية هنا عضدتها قرينة داخلية، وهي قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]، ورد الألوسي هذا الوجه بقوله (والقول بأن الإشارة إلى التوراة والإنجيل... إن كان قد ورد فيه حديث صحيح قبلناه وتكلفنا له وإلا ضربنا به الحائط، وما كل إحتمال يليق).

٣- الصراط المستقيم في الفاتحة، فالإحالة داخلية ، قال الألوسي (كأنهم لما سألوا الهداية لذلك قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا إن قبلته يتبين به وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد على أتم وجه وتكون الإشارة إلى ما سبق ذكره).

ومما كانت فيه الإحالة متعددة الاحتمالات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

ذكر الألوسي عدة احتمالات للإحالة، وجميعها إحالات داخلية قبلية، وهي:

١- قتل النفس فقط.

٢- قتل النفس وأكل أموال الناس بالباطل.

٣- مجموع ما تقدم من المحرمات في الآية السابقة.

٤- مجموع ما تقدم من محرمات من أول السورة.

ثم رجح الأول، وقال (ولعله الأظهر وما في ذلك من البعد إيذان بفظاعة قتل النفس وبعد منزلته في الفساد وإفراد اسم الإشارة على تقدير تعدد المشار إليه باعتبار تأويله بما سبق) (١). وحملا على قاعدة أن الضمير يعود على أقرب مذكور ، نجد أن الألوسي يرجّح أقوى الاحتمالات فذلك يعود

(١) روح المعاني (٥/ ١٦).

على القتل فعلا وهو أقرب مذكور ، لاسم الإشارة .

- ومما وردت فيه الإحالة متعددة الاحتمالات قوله تعالى ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]. فالإحالة في هذه الآية كما ذكر الألوسي تحتمل أن تكون المصدر المفهوم من الفعل جعل، أي : الجعل المذكور خاصة، ويحتمل أن يكون الجعل مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره، والإحالة فيهما داخلية قبلية(١).
- ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] ذكر الألوسي ثلاثة أوجه للإحالة بذلك: فهي إما إلى إتيان الرسل أو السؤال المفهوم من قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] أو ما قُصّ من أمرهم،أي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب) والإحالة في هذه المواضع إحالة داخلية قبلية(٢).
- وقد يكون لتحديد الإحالة أثر في الإعراب، ومنه الإحالة بذلك في قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ذكر الألوسي في الإحالة بذلك أربعة مواضع وبها يتحدد الإعراب:

الموضع الأول للإحالة: أن تكون إشارة إلى المصدر من قوله تعالى ﴿جَزَيْنَـٰهُم﴾ الجزاء، فتكون الإحالة داخلية بعدية ، وعلى هذا الوجه فذلك منصوب على أنه مصدر مؤكد لما بعده.

(١) ينظر: روح المعاني: (٤ /٣٦).
(٢) روح المعاني: (٢٨/٨).

والموضع الثاني للإحالة: أن تكون إشارة إلى المصدر من قوله تعالى ﴿حَرَّمْنَا﴾ التحريم، فتكون الإحالة داخلية قبلية ، وعلى هذا الوجه فذلك منصوب على أنه مفعول ثان له أي ذلك التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾

والموضع الثالث: أن تكون الإحالة خارجية، وتقدير الآية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ على أنها خبر مبتدأ مقدر.

والموضع الرابع: أن تكون الإحالة خارجية، على أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ خبره ما بعده والعائد محذوف، أي: ذلك جزيناهم إياه(١).

ثم أورد اعتراضا على ابن مالك في هذه المسألة فقال: (وما نقل عن ابن مالك أن اسم الإشارة لا ينتصب مشاراً به إلى المصدر إلا ويتبع بالمصدر، نحو: قمت هذا القيام، وقعدت ذلك القعود، ولا يجوز قمت هذا، ولا قعدت ذاك، رده أبو حيان والحلبي وصححا ورود اسم الإشارة مشاراً به إلى المصدر غير متبوع به. وجوز كون ذلك خبر مبتدأ مقدر ، أي : الأمر ذلك أو مبتدأ خبره ما بعده والعائد محذوف أي جزيناهم إياه).

– ومن الإحالة الداخلية القبلية قوله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

حيث أشار الألوسي أن الإحالة بذلك تحتمل أن تعود إلى المذكور السابق من التكبّر وعدم الإيمان بشيء من الآيات وإعراضهم عن سبيل الهدى وإقبالهم التام إلى سبيل الضلال .

وتحتمل أن تعود على مصدر الفعل ﴿سَأَصْرِفُ﴾ أي: الصرف.

(١) روح المعاني: (٤٨/٨).

والمعنى: أن ذلك الصرف بسبب تكذيبهم.

ثم رجح الألوسي هذا الاحتمال فقال: (وما فيه من البحث يدفع بأدنى عناية كما لا يخفى على من مدت إليه العناية أسبابها، وأياً ما كان فاسم الإشارة مبتدأ والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع خبراً عنه) [١].

- ومن الإحالة الداخلية القبلية المتعددة الاحتمالات ، قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨]. ذكر الألوسي ثلاثة أوجه للإحالة وهي من مصادر الأفعال التي ورد في الآية السابقة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٧].

الوجه الأول: إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم.

الوجه الثاني: القتل أو الرمي.

الوجه الثالث: المشار إليه الجميع[٢].

- ومن الإحالة الداخلية القبلية باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧]. فقد ذكر الألوسي أن الإحالة عائدة على الجعل المذكور أو على الليل والنهار، ثم قال: (وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه وعلو رتبته) [٣].

- ومن الإحالة الداخلية القبلية باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ

(١) روح المعاني: (٩ / ٦٢).
(٢) روح المعاني (٩ /١٨٧).
(٣) روح المعاني (١١ / ١٥٥).

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

أورد الألوسي ثلاثة احتمالات للإحالة بذلك، وهي:

الأول: أن تكون الإحالة إلى ما يُفهم من قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ قال الألوسي (وإيراد صيغة البعيد مع قربه لكونه معنى متقدم الذكر).

والثاني: أن تكون الإحالة إلى جميع ما ذكر من قوله سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ قال الألوسي (إذ لا مخصص مع كون التعميم أفيد والقرب إنما يرجح القريب على ما سواه فقط).

والثالث: أن تكون الإحالة إلى قوله عز شأنه: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ واستبعد الألوسي هذا الاحتمال(١)

– ومن الإحالة الداخلية القبلية باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

ذكر الألوسي أن الإحالة بذلك إلى ما فُصّل في الآية، ثم تحدث عن توجيه الخطاب بذلك في هذه الآية فقال: والخطاب للجمع على تأويل القبيل أو لكل واحد واحد أو أن الكاف تدل على خطاب قطع فيه النظر عن المخاطب وحدة وتذكيراً وغيرهما).

ثم ذكر السر البلاغي في استخدام (ذلك) في هذه الآية فقال: (والمقصود الدلالة على حضور المشار إليه عند من خوطب؛ للفرق بين الحاضر، والمنقضي الغائب، أو للرسول ﷺ ليطابق ما في سورة الطلاق، وفيه

(١) روح المعاني: (٢ / ١١٦).

إيذان بأن المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد بل لا بد لتصور ذلك من مؤيّد من عند الله تعالى)[١].

– ومن الإحالة الداخلية القبلية باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

أورد الألوسي ثلاثة أوجه للإحالة ، فقال: إما أن تعود على تحريم الأشهر الأربعة، ورُجِّح هذا الوجه؛ لأن التفريع يقتضيه، أو أن تكون الإحالة للعدّة، أي: كون العدّة كذلك. أو أن تكون الإحالة إلى مجموع ما دل عليه الكلام السابق ، وقال (والتفريع لا يأبى ذلك)[٢].

– ومما وردت فيه الإحالة بذلك خارجية ؛لكونها وردت في الخطاب المحكي قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وجه الألوسي [٣]الإحالة في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بأنها إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه .

(١) روح المعاني: (٢/ ١٤٥).
(٢) روح المعاني: (١٠ / ٩١).
(٣) ينظر : روح المعاني: (٨/ ١٧٧).

– ومن الإحالة الخارجية باسم الإشارة (ذلك)، قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦]

ذكر الألوسي وجهين للإحالة:

الوجه الأول: أن تكون الإحالة لمضمون ما ذُكر سابقا من الأفعال الفظيعة، أي: فيما ذكرنا من الأفعال الفظيعة بلاء من ربكم، أي: ابتلاء منه تعالى.

الوجه الثاني: أن تكون الإحالة مصدر الفعل (أنجاكم) أي: الإنجاء من ذلك، ورجح الألوسي هذا الوجه بتضافر أكثر من قرينة، فقال (والبلاء الابتلاء بالنعمة فإنه يكون بها كما يكون بالمحنة قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ** فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو[(١)]

وهو الأنسب بصدر الآية، ويلوح إليه التعرض لوصف الربوبية، وعلى الأول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له ونفع في الحقيقة ﴿عَظِيمٌ﴾ لا يطلق حمله أو عظيم الشأن جليل القدر) [(٢)].

*** سادسا: الإحالة بـ (تلك)**

ومن الإحالة الداخلية القبلية المتعددة بـ(تلك) قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى: (ص ١٠٩).
(٢) روح المعاني: (١٣ / ١٩٠).

تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فالإحالة بـ (﴿تِلْكَ﴾ كما ذكر الألوسي إلى الأحكام الستة المذكورة المشتملة على إيجاب وتحريم وإباحة، فالإحالة داخلية قبلية مشتملة على عدة أمور(١).

- ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢]. فقد ذكر الألوسي أن الإحالة بتلك يُحتمل أن تكون إلى ما سلف من حديث الألوف وموتهم وإحيائهم وتمليك طالوت؛ وإظهاره بالآية وإهلاك الجبابرة على يد صبي.

ويُحتمل أن تكون الإحالة إلى ما مر من أول السورة إلى هنا. وقد استبعد الألوسي هذا الوجه(٢).

- ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]. فقد ذكر الألوسي أن ﴿تِلْكَ﴾ إما إشارة إلى قصة نوح عليه السلام. وإما إشارة إلى آيات القرآن. واستبعد هذا الوجه(٣).

- ومن الإحالة الداخلية البعدية بـ(تلك) قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]. قال الألوسي (﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله

(١) روح المعاني: (٦٩/٢).
(٢) روح المعاني: (١٧٤/٢).
(٣) ينظر: روح المعاني: (١٢ / ٧٥).

سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦] الخ، وقيل: من قوله سبحانه: ﴿أَتُحَآجُّوٓنِّي﴾ إلى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢]. وتركيب حجة اصطلاحية منه يحتاج إلى تأمل) [١].

- ومنه قوله تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].قال الألوسي (﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ اسم الإشارة مشار به إلى ما بعده كما في الضمائر المبهمة التي يفسرها ما بعدها نحو ربه رجلاً ومثله يفيد التفخيم والتعظيم) [٢].
- ومنه قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

قال الألوسي : (﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: قرى عاد وثمود وقوم لوط وأشباههم... والإشارة لتنزيلهم لعلمهم بهم منزلة المحسوس . وتلك يشار بها للمؤنث من العقلاء وغيرهم، وجوز أن تكون القرى عبارة عن أهلها مجازاً) [٣].

- **ومن الإحالة الخارجية بتلك** قوله تعالى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]. قال الألوسي (﴿تِلْكَ﴾ أي وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل فيه ما فيه من معنى الإشارة كما في قوله عز وجل حكاية ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]).

*** سابعا: الإحالة بـ(هؤلاء):**

ومن الإحالة الخارجية بهؤلاء: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ

(١) روح المعاني: (٧/ ٢٠٨).
(٢) روح المعاني: (٦٨/٤).
(٣) روح المعاني: (١٥ /٣٠٦)، وينظر: البحر المحيط: (١٣٣/٦).

أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]ذكر الألوسي أن الإحالة بهؤلاء إلى بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير من اليهود كما ورد في سبب نزول الآية [١].

– ومن ذلك قوله تعالى (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، بعد قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥] قال الألوسي (أي: أنتم هؤلاء الحمقى) حيث أشار الألوسي إلى أن الإحالة الخارجية أفادت التحقير. وقال: (والإشارة للتحقير والتنقيص، ومنها فهم الوصف..).

وقال في إعراب هؤلاء (وهؤلاء: (ها) هنا في موضع النداء يعني يا هؤلاء. ويجوز هؤلاء خبر أنتم، على أن يكون أولاء بمعنى الذين وما بعده صلة له. ويجوز أن يكون خبر «أنتم» حاججتم) [٢].

– ومما وردت فيه الإحالة متعددة الاحتمالات قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ذكر الألوسي ثلاثة احتمالات للإحالة:

الأول: يحتمل أن تكون الإحالة إلى الشهداء: ويؤيده ما ورد بعده.

والثاني: يحتمل أن تكون إلى المكذبين المُستفهَم عن حالهم.

والثالث: يحتمل أن تكون إلى المؤمنين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وذكر أبو حيان خمسة احتمالات، قال (والإشارة بهؤلاء إلى أمة الرسول. وقال مقاتل: إلى الكفار. وقيل: إلى اليهود والنصارى. وقيل: إلى كفار قريش. وقيل: إلى المكذبين) وقال (وظاهر المقابلة يقتضي أن تكون الشهادة عليهم لا لهم، ولا يكون عليهم إلا والمشهود عليهم كانوا منكرين مكذبين بما شهد عليهم به)[٣].

(١) روح المعاني: (٣١١/١).
(٢) روح المعاني: (١٩٥/٣).
(٣) البحر المحيط: (٢٦٢/٣، ٢٦٣).

ولم يرجح الألوسي أي احتمال، والراجح والله أعلم، أن الإحالة إلى أمة الرسول عامة، يدل عليها التخصيص السابق في قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ والإحالة في مثل هذه المواضع وإن عضدتها قرائن داخلية إلى أنها خارجية؛ لأنها حكاية عن موقف من مواقف يوم القيامة(١).

- ومن الإحالة الخارجية بهؤلاء قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].قال الألوسي: (﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: الكفار من أهل مكة) والإحالة هنا خارجية كما ذكرنا؛ لأنها اعتمدت في تعيينها على أسباب النزول ،قال أبو حيان (وفي سبب النزول أن كعباً هو قائل هذه المقالة) (٢).

- ومن الإحالة الخارجية بهؤلاء قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. قال الألوسي (﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل مكة،كما روي عن ابن عباس ﷺ وقتادة مع دلالة الإشارة والمقام على ما قيل. وقيل: المراد بهم الكفار الذين جحدوا بنبوته ﷺ مطلقاً) فالآثار والمرويات عينت الإحالة(٣).

- ومن الإحالة الداخلية بهؤلاء قوله تعالى ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣]. قال الألوسي (أي: لا منسوبين إلى المؤمنين حقيقة لإضمارهم الكفر، ولا إلى الكافرين لإظهارهم الإيمان، أو لا صائرين إلى الأولين ولا إلى الآخرين)، وقد أجاد

(١) روح المعاني: (٣٤/٥).
(٢) البحر المحيط: (٢٨٣/٣)، روح المعاني: (٥٦/٥).
(٣) روح المعاني (٧/ ٢١٥).

الألوسي في تعيين الإحالة؛ إذ ليس في المقام إلاّ فريقان فأيّها جعلته مشاراً إليه بأحد اسمي الإشارة صحّ ذلك(١).

والإحالة فُهمت من الآية السابقة قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] (٢).

- ومما وردت فيه الإحالة بهؤلاء داخلية قبلية قوله تعالى ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. قال الألوسي (﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ بدل كل على جهة التفصيل، أي: نمد هؤلاء المعجل لهم، وهؤلاء المشكور سعيهم). يعني ما ورد في الآيتين السابقة ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩](٣).

- ومما يحتمل فيه أن تكون الإحالة بهؤلاء داخلية أو خارجية قوله تعالى ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]. أورد الألوسي احتمالين للإحالة بهؤلاء:

الاحتمال الأول: أن يكون كفار مكة، وعلى هذا فالإحالة خارجية.

والاحتمال الثاني: أن يكون الأحزاب الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ

(١) التحرير والتنوير: (٢٤١/٥).
(٢) روح المعاني: (٥/ ١٧٧).
(٣) روح المعاني: (١٥ /٤٨).

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ [ص: ١٢-١٣]، فالإحالة داخلية.

ثم رجح الألوسي الاحتمال الأول فقال (ولا يخفى أن المنساق إلى الذهن هو الاحتمال الأول، وهو المأثور عن السلف) ثم أورد قرائن أخرى تؤيد ما ذهب إليه فقال (لأن الانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاءً إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد، وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر، بخلاف كفار قريش حيث ارتكبوا ما ارتكبوا ولما يلاقوا بعد شيئاً) [١].

*** ثامنا: الأحالة بـ(أولئك):**

وسأورد نماذجا لتحديد الألوسي للإحالة بـ(أولئك) وفي أغلبها الإحالة داخلية.

- ومن الإحالة الإشارية بـ(أولئك) قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]. والإحالة في هذا الموضع إحالة داخلية قبلية، وهي مضمون كلام الألوسي، [٢]وأطال الألوسي في هذا الموضع فذكر الأعاريب المحتملة للآية ، وتحدث عن ما تصل بـ(أولئك) وعن خصائص الإحالة بـ(أؤلئك) وسأذكر هذا في مبحث مستقل [٣]
- ومن الإحالة الداخلية القبلية قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]. قال الألوسي (إشارة إلى المنافقين الذين تقدم ذكرهم الجامعين للأوصاف الذميمة من دعوى الصلاح وهم المفسدون ، ولبعد منزلتهم في الشر وسوء الحال أشار إليهم بما يدل على البعد[٤].

(١) روح المعاني: (٢٣ /١٧٢).
(٢) روح المعاني: (١/١٢٤).
(٣) ينظر المبحث الرابع : خصائص الإحالة الإشارية .
(٤) روح المعاني: (١/١٦٠).

- ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

ذكر الألوسي أن الإحالة بـ(أولئك) في هذا الموضع يحتمل أن تكون للفريق الثاني، يعني على الأقرب (الفريق المفهوم من الآية السابقة)، ويحتمل أن تكون للفريقين المفهومين من الآيتين السابقتين. ولم يرجح أي احتمال(١). والإحالة في كلا الاحتمالين داخلية قبلية.

-ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ذكر الألوسي (٢) أن الإحالة في (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المذكورين من المشركين والمشركات .

- ومنه قوله تعالى ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٧] فقد ذكر الألوسي أن الإحالة في (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المذكورين المتصفين بأشنع الصفات (٣).

(١) ينظر: روح المعاني: (٢ / ٩١).
(٢) ينظر : روح المعاني: (١٢٠/٢).
(٣) ينظر : المرجع السابق : (٣/ ٢١٧).

- ومنه قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ [النساء: ١٨].

فالإحالة بأولئك . كما ذكر الألوسي [١] . إلى المذكورين من الفريقين المترامي حالهم إلى الغاية القصوى في الفظاعة.

-وقد تكون الإحالة بـ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إلى أكثر من ذات مذكور ومنه قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

حيث ذكر الألوسي أن ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين من الأنبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم -عليهم السلام- باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة كما قيل[٢].

- ومنه قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

ف ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ كما ذكر الألوسي إشارة إلى المنعوتين بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة ، وليس المراد بهم أناساً بأعيانهم وإن كانت الآية نازلة على ما قيل في الأنصار[٣].

قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل. وقيل: في عمر بن الخطاب وأبي جهل. وقيل: في عمار بن ياسر وأبي جهل [٤]. والإحالة داخلية

(١) ينظر : المرجع السابق: (٤/ ٢٤٠).
(٢) ينظر : المرجع السابق: (٧/٢١٥).
(٣) ينظر : المرجع السابق: (١٢/ ١٤٢).
(٤) ينظر : البحر المحيط: (٥/ ٣٧٥).

كما رجحها الألوسي، وهو كما يلاحظ لم يعتمد على ما روي من أسباب النزول.

– ومما تعددت فيه الإحالة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧] ذكر الألوسي احتمالين للإحالة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

الاحتمال الأول: أن تكون إشارة إلى المعبودين في الآية السابقة، والواو في ﴿يَدۡعُونَ ﴾ للعابدين، والعائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوب محذوف أي يدعونهم. ورجح الألوسي هذا الوجه.

والاحتمال الثاني: أن تكون إشارة إلى النبيين، الذين تقدّم ذكرهم، أي قوله ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الإسراء: ٥٥] والضمير المرفوع في ﴿يَدۡعُونَ ﴾ و﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ عائد عليهم، والمعنى يدعون الناس إلى دين الله . والإحالة في الاحتمالين إحالة داخلية قبلية(١).

*** تاسعا: الإحالة بظروف الإشارة (ههنا، هنالك، ثَمّ):**

والإحالة في جميع ظروف الإشارة إحالة خارجية، ومن الإحالة بـ﴿هَٰهُنَآ﴾ قوله تعالى ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦]. قال الألوسي (﴿هَٰهُنَآ﴾ إشارة إلى المكان الحاضر القريب، أي: أتتركون في الذي استقر في مكانكم هذا من النعمة) (٢).

– ومن الإحالة بـ(هنالك) قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]. قال الألوسي ((هنا)

(١) ينظر: روح المعاني: (٨٩/١٥)، وينظر أيضا: المحرر الوجيز: (٣ /٤٨٢)، والبحر المحيط: (٥٠/٦).
(٢) روح المعاني: (١٩ / ١١٢).

ظرف مكان، واللام للبعد، والكاف للخطاب، أي: في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب، وهي ظرف ملازم للظرفية ، وقد تجر بمن وإلى؛ وجوز أن يراد بها الزمان مجازاً فإن (هنا) وثم وحيث كثيراً ما تستعار له وهي متعلقة بدعا... وقال الزجاج: إن (هنا) هنا مستعارة للجهة والحال، أي: من تلك الحال دعا زكريا،كما تقول: من ههنا قلت كذا، ومن هنالك قلت كذا أي من ذلك الوجه وتلك الجهة) [١].

- ومن الإحالة بـ(ثَمَّ) قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. قال الألوسي (﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: فهناك جهته سبحانه التي أمرتم بها، فإذاً مكان التولية لا يختص بمسجد دون مسجد ولا مكان دون آخر... و(ثم) اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح) [٢].

(١) روح المعاني: (١٤٤/٣).
(٢) روح المعاني: (٣٦٥/١).

المبحث الرابع

خصائص الإحالة باسم الإشارة من خلال تفسير «روح المعاني» للألوسي

اهتم الألوسي ببيان ما تمتاز به الإحالة بأسماء الإشارة من خصائص لا يؤديها غيرها من الأدوات النحوية؛ فنجده تارة يوضح أهميتها، وتارة يتحدث عن الخصائص الدلالية التي تمتاز بها الإحالة بأسماء الإشارة، وتارة نجده يفرّق ما بين الإحالة باسم الإشارة وبين الإحالة بغيره كالضمائر أو الموصولات، وتارة نجده يوضح لنا تفاصيل هذه الإحالة من حيث ذكر المخاطب والمحال إليه، ويبين خصائص الإحالة من حيث كونها للعهد الحضوري أو العهد الذهني، وتارات نجده يبرز الأثر البلاغي للإحالة باسم الإشارة من خلال التركيب الذي وردت فيه.

ويهتم الألوسي بلفظ (المحيل) اسم الإشارة، ويبين نوعه واستخدامه، وما يدخل عليه من أدوات للقرب أو للبعد، ويورد الأوجه الممكنة لإعرابه، ويتحدث عن بعض التراكيب التي يرد فيها اسم الإشارة وتحتاج إلى بيان وإيضاح من ناحية الإعراب، كالتراكيب التي يرد فيها الفصل بين اسم الإشارة وهاء التنبيه ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ وتركيب ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (١).

*** ومن خصائص الإحالة باسم الإشارة الفارقة:**

١- زيادة تعيين (المحال إليه) وذلك من خلال: الحضور والمشاهدة الحسيّة ما بين المتكلم والمخاطب، وهو الأصل في استخدام أسماء الإشارة(٢).

-ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾ [البقرة: ٢٥].

أشار الألوسي في هذه الآية إلى عنصر الحضور الحسي المشاهد الذي يبرز فيه دور الإشارة بهذا في الآية، فقال (هذا إشارة إلى نوع ما رزقوا ويكفي

(١) ينظر: روح المعاني: (٣١١/١، ١٩٥/٣، ٣٨/٤).
(٢) ينظر شرح الكافية للرضي: (٢/ ٣٠).

إحساس أفراده، وهذا كقولك مشيراً إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع أو إلى شخصه، والإخبار عنه بـ(الذي) الخ على جعله عينه مبالغة أو تقدير مثل الذي رزقناه من قبل أي في الدنيا) (١).

-ومنه أيضا قال تعالى ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

قال الألوسي: (﴿وَهَٰذَا﴾ الذي تشاهدونه...) (٢).

٢- وقد يكون العنصر الإشاري (المحال إليه) غير مشاهد حسًّا، فتفيد الإحالة باسم الإشارة حينئذٍ زيادة تعيين (المحال إليه) وذلك من خلال ما يلي:

أ- استحضار صورته في الذهن، وكأنه في حكم الحاضر حسًّا.

ب- تمييز المُحال إليه بما له من صفات من خلال السياق.

ومن أمثلة الإحالة بـ(هذا) في هذا الموضع قوله تعالى ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧].

في هذه الآية أشار الألوسي إلى دور خاص للإحالة باسم الإشارة ، ولا يمكن أن يؤدي هذا الدور غيرها، قال الألوسي: (وما في اسم الإشارة من معنى القرب لزيادة تعيين المشار إليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله تعالى، المنادية على امتناع كونه سحراً، أي أسحر هذا الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة) (٣).

- ومن أمثلة الإحالة بـ(هذه) قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠

(١) روح المعاني: (٢٠٣/١).
(٢) روح المعاني (١٠٠/١٢).
(٣) روح المعاني (١٦٤/١١).

رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. بيّن الألوسي دور الإحالة باسم الإشارة في هذا الموضع فقال: (﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾ خطاب للناس قاطبة، والإشارة إلى ملة التوحيد والإسلام، وذلك من باب ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨] وهذا أخوك تصور المشار إليه في الذهن وأشير إليه، وفيه أنه متميز أكمل التمييز ولهذا لم يبين بالوصف) (١).

- ومن أمثلة الإحالة بـ(ذلك) قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢]. قال الألوسي (ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة) (٢).
- ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ ﴾ والمقصود الدلالة على حضور المشار إليه عند من خوطب... وفيه إيذان بأن المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد بل لا بد لتصور ذلك من مؤيد من عند الله تعالى) (٣).
- ومن أمثلة الإحالة بـ(هؤلاء) قوله تعالى ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠]. أشار الألوسي في هذا الموضع إلى الفرق بين الإحالة بالضمير وبين الإحالة باسم الإشارة، وما تحمله من

(١) روح المعاني (٨٩/١٧).
(٢) روح المعاني: (١١٨/٦).
(٣) روح المعاني: (١٤٥/٢).

خصائص ، فقال (وقوله تعالى: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ بدل كل على جهة التفصيل، أي: نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم، فإن الإشارة متعرضة لذات المشار إليه بما له من العنوان لا للذات فقط، كالإضمار، ففيه تذكير لما به الإمداد، وتعيين للمضاف إليه المحذوف؛ دفعاً لتوهم كونه أفراد الفريق الأخير المريد للخير الحقيق بالإسعاف فقط، وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول)[١].

- ومن أمثلة الإحالة بـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ قوله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة: ٥]. قال الألوسي (وإيراد اسم الإشارة هنا بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزه بها، وانتظامه لذاك في سلك الأمور المشاهدة مع الإيماء إلى بعد منزلته وعلو درجته)[٢].

-وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]. قال الألوسي (وأشار بـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للأشعار بتميز أولئك بذلك الوصف تميزا مصححا للإشارة الحسية مع الإيذان ببعد منزلتهم) [٣].

-وقوله تعالى ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣]. قال الألوسي (ووضع اسم الاشارة موضع الضمير (هم) قصدا إلى إحضارهم فى الذهن بما وصفوا به من القبائح إيماء إلى علة الحكم مع الإشارة إلى أنهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم أكمل تميز حتى انتظموا فى سلك الأمور المشاهدة) [٤].

- وقوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ

(١) روح المعاني: (٤٨/١٥).
(٢) روح المعاني: (١٢٤/١).
(٣) روح المعاني: (٢٤١/١).
(٤) روح المعاني: (١٤٢/٦).

يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

قال الألوسي (ووضع اسم الإشارة موضع ضميرهم في قوله سبحانه: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للإيذان بكمال تميزهم بما هم عليه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك، وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان أي ومكر أولئك المفسدين المشهورين)[١].

٣- وقد تفيد الإحالة بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أحقية (المحال إليه) وأنه جدير بما أخبر عنه بما أُخبر عنه[٢].

- ومنه قوله تعالى ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]. قال الألوسي: (وفي إيقاع اسم الإشارة كما في «الكشف» أن اسم الإشارة بعد إفادة الإحضار وأكمل التمييز يفيد أنهم أحقاء بما أخبر عنه به بواسطة ما تقدم من العكوف) [٣].
- ومنه قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]. قال الألوسي (وإيراد اسم الإشارة المنبئ عن استحضار المشار إليه بماله من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبية النار) [٤].
- ومنه قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

(١) روح المعاني: (١٧٦/٢٢).
(٢) ينظر: همع الهوامع: (٣٠٣/١).
(٣) روح المعاني: (٩/ ٤١)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي: (٥٤٣/٦).
(٤) روح المعاني: (٣٠٦/١).

قال الألوسي (أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها إيتاء الكتاب باليمين) [١].

٤- ومما يختص بالإحالة بـ﴿هَٰذَا﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ غير الربط بين أجزاء التركيب، ورودها للفصل بين موضوعين مختلفين، فيحسن بها التخلّص من الموضوع الأول كما يحسن بها الإبتداء بالموضوع الثاني، فتكون كالرابطة بين الموضوعين من هذه الناحية، والقصد منها التنبيه على الاهتمام بما سيذكر بعدها، فالإشارة مرادٌ بها التنبيه، وذلك حيث يكون ما بعدها غيرَ صالح لوقوعه خبراً عن اسم الإشارة فيتعين تقدير خبر عنها في معنى: ذلك بيانٌ، أو ذكرٌ [٢].

-ومنه قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر، وهذا وأمثاله من أسماء الإشارة يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد، والمشهور من ذلك ﴿هَٰذَا﴾ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥] وكقول زهير وقد تقدم له وصف هرم بالكرم والشجاعة:

هذا ولـيس كمـن يعيـا بخطبتـه ** وسط النـدى إذا مـا نـاطق نطقاً [٣]

واختيار ﴿ذَٰلِكَ﴾ هنا لدلالته على تعظيم الأمر وبُعد منزلته، وهو من الاقتضاب القريب من التخلّص لملاءمة ما بعده لما قبله) [٤].

(١) روح المعاني: (١٢٢/١٥).
(٢) ينظر: الكشاف: (١٠٢/٤)، والكليات للكفومي: (٢٢٦/١)، والتحرير والتنوير: (١٧ / ٢٥١).
(٣) البيت في ديوانه: (ص٤٢).
(٤) روح المعاني: (١٤٧/١٧)، وينظر: والكليات للكفومي: (٢٢٦/١)، وفيه تفصيل للفرق بين الاقتضاب والتخلص، وهما مصطلحان بلاغيان.

-ومن ذلك قوله تعالى ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٩] بعد أن وجه الألوسي الإحالة في الآية ذكر وظيفة اسم الإشارة في هذا الموضع فقال (و﴿هَٰذَا﴾... للانتقال من نوع من الكلام إلى آخر كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب ثم شرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وكان كيت وكيت، ويحذف على ما قيل الخبر في مثل ذلك كثيراً، وعليه ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ [ص: ٥٥]) [١].

٥- وللإحالة باسم الإشارة مقاصد بلاغية لاستخدام القرب أو البعد، كإفادة التعظيم أو التحقير، وذلك لا يتضح إلاّ من خلال السياق ، ومن المواضع التي تحدّث فيها الألوسي عن المقاصد البلاغية للإحالة باسم الإشارة ما يلي :

- من الإحالة بـ﴿هَٰذَا﴾ قوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] أشار الألوسي إلى السر البلاغي في استخدام (هذا) في الآية، وما يدل عليه من تعظيم المحال إليه، قال الألوسي (﴿هَٰذَا﴾.. ﴿كِتَٰبٌ ﴾ عظيم الشأن لا يقادر قدره) [٢].

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣].

قال الألوسي: (وإقحام اسم الإشارة للتعظيم) [٣].

- ومن الإحالة بـ(هذه) قوله تعالى ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ

(١) روح المعاني: (٢١٢/٢٣).
(٢) روح المعاني: (١٦٠/٨).
(٣) روح المعاني: (١٧٣/٣٠).

ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. أشار الألوسي إلى السر البلاغي في التعبير بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ في الآية، فقال (﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: إشارة تحقير) [١].

- ومن الإحالة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ ومنه قوله تعالى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]. قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ﴾... وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو منزلة المشار إليه وبعد منزلته أي ذلك التسيير البديع الشأن) [٢].
- ومنه قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] فبعد أن وجه الألوسي الإحالة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع، وما تقوم به من ربط الكلام السابق باللاحق، أشار إلى ما تفيده صيغة البعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾ فقال: (﴿ذَٰلِكَ﴾ إن كان إشارة للباس المواري فلباس التقوى حقيقة والإضافة لأدنى ملابسة، وإن كان للباس التقوى فهو استعارة مكنية تخييلية... وعلى كل تكون الإشارة بالبعيد للتعظيم بتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحسي فتأمل ولا تغفل) [٣].
- ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]. قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ﴾... وما فيه من معنى

(١) روح المعاني: (١٢/٢١).
(٢) روح المعاني: (٢٣٣/٧).
(٣) روح المعاني: (١٠٤/٨).

البعد لتفخيم المشار إليه) [١].

- ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥] قال الألوسي (﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي بعد ما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبىء عنه ما في اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه، وبعد منزلته في الفضل والكمال، وكونه بذلك ممتازاً منزلاً منزلة الأمور الحسية) [٢].
- ومنه قوله تعالى ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ٢] قال الألوسي (وضع اسم الإشارة موضع الضمير للدلالة على التحقير، وقيل للإشعار بعلة الحكم أيضاً) [٣].
- ومن الإحالة بـ﴿تِلْكَ ﴾ قوله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال الألوسي (﴿تِلْكُمُ﴾... ومعنى البعد في اسم الإشارة إما لرفع منزلتها وبعد مرتبتها، وإما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد، وإما للإشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا) [٤].
- ومنه قوله تعالى ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١]. قال الألوسي (﴿تِلْكَ ﴾ وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة)[٥].

(١) روح المعاني: (٩١/١٠).
(٢) روح المعاني: (١٧/١٨).
(٣) روح المعاني: (٢٤٢/٣٠).
(٤) روح المعاني: (١٢١/٨).
(٥) روح المعاني: (٥٩/١١).

- ومنه قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]. قال الألوسي (﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ﴾ أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة على ما قيل، فالإشارة إلى ما في الذهن وصيغة البعيد لتحقيرهم أو لتنزيلهم منزلة البعيد لعدمهم، أو الإشارة إلى قبورهم ومصارعهم، وحينئذٍ الإشارة للبعيد المحسوس..) [١].
- ومن الإحالة بـ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ قوله تعالى ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]. قال الألوسي (﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم) [٢].

-ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ [الدخان: ٣٤]. قال الألوسي (﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ كفار قريش لأن الكلام فيهم، وذكر قصة فرعون وقومه استطرادي للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والإنذار عن مثل ما حل بهم، وفي اسم الإشارة تحقير لهم)[٣].

- ومن الإحالة بـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]

قال الألوسي(﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار إليه لما مر مراراً من تفخيم شأنه) [٤].

(١) روح المعاني: (٨٦/١٢).
(٢) روح المعاني: (٢١٩/١٥).
(٣) روح المعاني: (١٢٦/٢٥).
(٤) روح المعاني: (٣٦/ ١٣٧).

المبحث الخامس

التأويل الإحالي عند الألوسي

تعد الإحالة باسم الإشارة عملية من عمليات الربط بين أجزاء الكلام، ولهذا الربط ضوابط يسير عليها، ومن أهم ضوابط الإحالة: المطابقة بين المحيل والمحال إليه، وذلك في النوع من حيث القرب والبعد، وفي الجنس من حيث التذكير والتأنيث، وفي العدد من حيث الإفراد والتثنية والجمع.

إلا أن هذا التطابق ليس مُلْتَزَمًا في كل أحواله فقد وردت المخالفة في الإحالة باسم الإشارة بين المحيل والمحال إليه في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، لفتت انتباه النحاة، قال ابن مالك: «وقد ينوب ذو البعد عن ذي القرب لعظمة المشير أو المشار إليه، وذو القرب عن ذي البعد لحكاية الحال، وقد يتعاقبان مشارًا بهما إلى ما قد ولياه، وقد يشار بما للواحد للاثنين وإلى الجمع» [(١)]، وفي الحقيقة جواز النيابة فيما ذكره ابن مالك ليس مطلقًا في كل الأحوال، وإرادة التعظيم أو التحقير وغيرها من الأغراض البلاغية ليست كافية لتعليل هذا التصرف في كل الأحوال. بل هناك قرائن سياقية داخلية وخارجية تدعم هذه العملية. وهذا ليس تقليلاً من كلام ابن مالك بل نقول إنه قد أجاد في وصفه لما يمكن أن تكون عليه أسماء الإشارة مع المحال إليه من التطابق وعدمه.

وتظهر عملية المطابقة أو المخالفة بين عنصري الإحالة عند من يُحلِّل النص الأدبي وعلى رأسهم المفسرون ، فنجد في ثنايا كتب التفسير تطبيقًا لتوجيه الإحالة باسم الإشارة من ناحية المطابقة بين عنصريها أو المخالفة ، وتأويل تلك المخالفة بما يرتضيه المعنى المناسب للنص من خلال السياق.

وسأستعرض هنا بعض المواضع التي تعرَّض لها الألوسي بالتوجيه والتأويل فيما فيه مخالفة بين عنصري الإحالة أو ما احتاج إلى تقدير.

(١) شرح التسهيل (١/ ٢٤٨).

الإحالة بين القرب والبعد

أ- الإحالة بما يدل على البعد مع قرب المشار إليه:

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

قال الألوسي (وفيه احتمالات أطالوا فيها وكتاب الله تعالى يحمل على أحسن المحامل وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب وذلك إشارة إلى الكتاب الموعود به ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]).

وقد ذكر الألوسي عدة أقوال في التعبير بصيغة البعيد في هذه الآية، وهي:

١- الإحالة بذلك للتعظيم وتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحقيقي، مما يدل على عظمة المشير والمشار إليه.

٢- لأنه لما نزل عن حضرة الربوبية وصار بحضرتنا بَعُد، ومن أعطى غيره شيئا أو أوصله إليه أو لاحظ وصوله عبر عنه بذلك؛ لأنه بانفصاله عنه بعيد أو في حكمه وقد قيل: كل ما ليس في يديك بعيد، واستبعده الألوسي بقوله (ولما لم يتأت هذا المعنى في قوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ٩٢] لأنه إشارة إلى ما عنده سبحانه لم يأت بذلك مع بعد الدرجة.

٣- وقيل: أن القرآن لفظ، وهو من قبيل الإعراض السيالة الغير القارة فكل ما وجد منه اضمحل وتلاشى وصار منقضيا غائبا عن الحس وما هو كذلك في حكم البعيد وقد استبعد الألوسي هذا القول.

٤- وقيل: لأن صيغة البعيد والقريب قد يتعاقبان كقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾ [آل عمران: ٥٨] ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران: ٦٢] وله نظائر في الكتاب الكريم.

ونقله الجرجاني عن طائفة وأنشدوا:

أقـول لـه والـرمح يـأطر متنـه ** تأمـل خفافـاً إنـي أنـا ذلكـا

ورده الألوسي بقوله (وليس بنص لاحتمال أن يكون المراد إنني أنا ذلك الذي كنت تحدث عنه وتسمع به).

٥- وقيل: ذلك للبعيد عرفا لا وضعا، واستبعد الألوسي هذا الوجه فقال (فحمله هنا على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي مخالف لما نفهمه من كتب أرباب العربية).

٦- المعتبر في أسماء الإشارة هو الإشارة الحسية، التي لا يتصور تعلقها إلا بمحسوس مشاهد، فإن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه نحو ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٠٢] أو إلى محسوس غير مشاهد نحو ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [مريم: ٦٣] فلتصييره كالمشاهد وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسية وقد رجّح الألوسي هذا الوجه، وأرى -والله أعلم- أن هذا الوجه والوجه الأول، كلاهما راجحان.

ومن ذلك التعبير بتلك في قوله تعالى ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٧-١٨].

فقد تعددت مقاصد الإحالة باسم الإشارة في هذا الموضع، مما يحتاج إلى إعادة نظر وإعمال فكر؛ وكأنّ الغرض منها أن نبذل المزيد من التأمل والتدبر في آيات الله تعالى .

ذكر الألوسي ثلاثة تأويلات لاستخدام الإحالة بتلك الدالة على البعد مع قرب المشار إليه ، وهي:

الأول: أن اختيار ما يدل على البعد في اسم الإشارة للإشارة إلى التعظيم و﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ تتميم للاستعظام بأنها أكثر من أن تحصى، وذكر العصا في الجواب ليجري عليها النعوت المادحة وفيه من تعظيم شأنها ما ليس في ترك ذكرها.

والثاني: أن المراد إظهار حقارتها ليريه عز وجل عظيم ما يخترعه في الخشبة اليابسة، مما يدل على باهر قدرته سبحانه، كما هو شأن من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئاً عظيماً فإنه يعرضه على الحاضرين ويقول: ما هذا؟ فيقولون هو الشيء الفلاني ويصفونه بما يبعد عما يريد إظهاره منه ثم يظهر ذلك، فما طالبة للجنس و﴿تِلْكَ﴾ للتحقير والتعداد في الجواب لأجله ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ تتميم لذلك أيضاً.

والثالث: أن اختيار ما يدل على البعد في اسم الإشارة لتنزيل العصا منزلة البعيد لغفلته عليه السلام عنها بما غلب عليه من ذلك(١).

وظاهر كلام الألوسي أنه يرجح أن يكون التعبير عن البعد لغفلته عليه السلام عنها كما في التأويل الثالث ، والذي يترجح لي أن التعبير بالبعد لإظهار حقارة تلك العصا لما سيترتب بعد ذلك من قلبها حية، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة.وأستبعد ما ذهب إليه الألوسي، إذ كيف يغفل عنها وهي في يمينه(٢).

ب- الإحالة بما يدل على القرب مع بعد المشار إليه:

ومنه الإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

حيث ورد التعبير بـ(هذا وهذا) عن الرجلين مع كونهما غائبين، والغائب في حكم البعيد، قال الألوسي في تأويل ذلك: (والإشارة بهذا واقعة على طريق الحكاية؛ لما وقع وقت الوجدان، كأنّ الرائي لهما يقوله، لا في المحكي لرسول الله ﷺ.

(١) ينظر: روح المعاني: (١٧٦/١٦).
(٢) ينظر: الكشاف: (٥٩/٣).

وقال المبرد: العرب تشير بهذا إلى الغائب قال جرير:

هـذا ابـن عمـي في دمشـق خليفـة ** لـو شـئت سـاقكم إلى قطينـا

وهذه الإشارة قائمة مقام الضمير في الربط) [١].

ولهذا السبب الذي ذكره الألوسي كان التعبير بهذا للبعيد، فإن للقرآن عبقرية في نقل الماضي إلى الحاضر، وجعل الأحداث بين يديك، وكأنها في حكم الحاضر، ولهذا كان توظيف الإحالة الإشارية في هذا الموضع لنقل الصورة الماضية الغائبة إلى الحاضر المحسوس[٢].

ومنه في التعبير عن البعيد بما يدل على القرب، قوله تعالى ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] وقوله تعالى ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣].

الإحالة بين التذكير والتأنيث

أ- الإحالة بما يفيد التذكير للمؤنث:

ومنه قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

حيث ذكَّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث، وأول المفسرون ذلك بعدة أوجه، ومما ذكروه:

الأول: أن التذكير ذهاباً بها مذهب الكوكب.

الثاني: أن التذكير ذهابا بها مذهب الضوء والنور.

الثالث: أن التذكير بتأويل الطالع أو الشخص أو الشيء.

الرابع: أن التذكير لتذكير الخبر، لأن الخبر مذكر، فأعطيت حكمه،

(١) ينظر: روح المعاني: (٥٣/٢٠)، وينظر أيضا: المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب: (ص٢٣٣)، وشرح التسهيل لابن مالك: (٢٤٦/١)، والتذييل والتكميل: (٢٠١/٣).
(٢) ينظر: مغني اللبيب: (ص٩٠٥).

تقول: هند ذاك الإنسان وتِيْكَ الإنسان [١].

وأورد الألوسي تأويلين للإحالة:

الأول: أن (هذا) إشارة إلى الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الأسامي فضلاً عن حيثية تسميته بالشمس.

والثاني: أن التذكير لتذكير الخبر.

وأورد الألوسي قول أبي حيان (يمكن أن يقال: إن أكثر لغة العجم لا تفرق في الضمائر ولا في الإشارة بين المذكر والمؤنث، ولا علامة عندهم للتأنيث بل المؤنث والمذكر عندهم سواء، فأشير في الآية إلى المؤنث بما يشار به إلى المذكر حين حكى كلام إبراهيم عليه السلام، وحين أخبر سبحانه عن المؤنث ببازغة وأفلت أنث على مقتضى العربية؛ إذ ليس ذلك بحكاية) [٢].

ورد الألوسي قول أبي حيان بأن هذا إنما يظهر لو حكى كلامهم بعينه في لغتهم أما إذا عبر عنه بلغة العرب فالمعتبر حكم لغة العرب، وأن العبرة في التذكير والتأنيث بالحكاية لا المحكي ألا ترى أنه لو قال أحد: الكوكب النهاري طلع فحكيته بمعناه وقلت: الشمس طلعت لم يكن لك ترك التأنيث بغير تأويل لما وقع في عبارته، وإذا تتبعت ما وقع في النظم الكريم رأيته إنما يراعي فيه الحكاية على أن القول بأن محاورة إبراهيم عليه السلام كانت بالعجمية دون العربية مبني على أن إسماعيل عليه السلام أول من تكلم بالعربية والصحيح خلافه[٣].

وقيل: التذكير لتذكير الخبر، وقد صرحوا في الضمير واسم الإشارة مثله أن رعاية الخبر فيه أولى من رعاية المرجع، لأنه مناط الفائدة في الكلام وما مضى فات، وفي «الكشاف» «بعد جعل التذكير لتذكير الخبر وكان اختيار

(١) ينظر: الكشاف: (٤٠/٢)، والتبيان في إعراب القرآن: (٤٠٠/١)، والبحر المحيط: (٤/ ١٧٢)، والدر المصون: (٢٩٣/٦).
(٢) ينظر التذييل والتكميل: (١٩٤/٦).
(٣) ينظر: البحر المحيط: (٤/ ١٧٢)، والدر المصون: (٢٩٣/٦).

هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله تعالى: علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازاً من علامة التأنيث»[١].

واعترض عليه بأن هذا في الرب الحقيقي مسلم وما هنا ليس كذلك. وأجيب بأن ذلك على تقدير أن يكون مسترشداً ظاهر، والمراد على المسلك الآخر إظهار صون الرب ليستدرجهم إذ لو حقر بوجه ما كان سبباً لعدم إصغائهم [٢].

ومنه قوله تعالى ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢].

وجّه الألوسي الإحالة بهذا بأنها إمّا للجنّة ، ثم أول هذا التوجيه بتأولين:

الأول: بأن التذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير قصد لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ العربي.

والثاني: التذكير لتذكير الخبر.

وأجاز الألوسي في توجيه الإحالة بهذا أن تكون إشارة إلى الثواب، أو إشارة إلى مصدر ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ [ق: ٣١] والجملة بتقدير قول وقع حالاً من المتقين، أو من الجنة والعامل أزلفت أي مقولاً لهم أو مقولاً في حقها هذا ما توعدون [٣].

والذي يظهر لي والله أعلم أن التذكير في اسم الإشارة في الآيتين، لتذكير الخبر، ومنه قوله تعالى ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ [القصص: ٣٢] فَذَانِكَ : إشارة إلى العصا واليد، وهما مؤنثتان، ولكن ذُكِّرا لتذكير الخبر [٤].

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(١) ينظر: الكشاف: (٢/٤٠).
(٢) روح المعاني: (٧/ ١٠٢).
(٣) روح المعاني: (٢٦ /١٨٩).
(٤) ينظر: البحر المحيط: (١١٣/٧).

ب- الإحالة بما يفيد التأنيث للمذكر:

ومما وردت فيه الإشارة بما يفيد التأنيث للمذكر قراءة ابن أبي عبلة ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨][١].

أوّل الألوسي التأنيث بقوله (وخرج على أنه رعاية للخبر، أو جعل المشار إليه القدرة والقوة على ذلك) [٢].

ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

حيث ورد ما ظاهره الإحالة بتلك لعاد الذي ورد بعده، وقد أورد الألوسي ثلاثة تأويلات للإحالة:

التأويل الأول: أن التأنيث باعتبار القبيلة... فالإشارة إلى ما في الذهن، وصيغة البعيد لتحقيرهم أو لتنزيلهم منزلة البعيد لعدمهم.

والتأويل الثاني: أن الإشارة إلى قبورهم ومصارعهم، وحينئذ الإشارة للبعيد المحسوس والإسناد مجازي أو هو من مجاز الحذف، أي تلك قبور عاد.

والتأويل الثالث: أن يكون بتقدير: أصحاب تلك عاد، والجملة مبتدأ وخبر، والمقصود الحث على الاعتبار بهم والاتعاظ بأحوالهم[٣].

الإحالة بين الإفراد والتثنية والجمع

أ- الإحالة بما للواحد للاثنين:

ومن الإحالة بما للواحد للاثنين قوله تعالى ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

ذكر الألوسي تأويلين للإحالة بذلك:

التأويل الأول: عوان بين ذلك، أي: عوان بين ما ذُكر أو تقدم من

(١) ينظر البحر المحيط: (١٥٦/٦).
(٢) روح المعاني: (٤٢/١٦).
(٣) ينظر: روح المعاني: (٨٦/١٢).

الوصفين السابقين.

والتأويل الثاني: أن هناك معطوف محذوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير: عوان بين ذلك وهذا، أي: الفارض والبكر.

ثم استبعد الألوسي التأويل الثاني لما فيه من التكلف.

والتأويل الأول الذي ذكره الألوسي يجعل المثنى داخلا حتى المفرد حكما، نحو: هذا الفريق، وهذا الجيش. وليس حقيقة كـ(هذا زيد)، والمفرد لا تجوز الإشارة به إلى اثنين بالنظر إلى اللفظ؛ بل بالنظر إلى المعنى [١].

قال السمين الحلبي (والذي حَسَّنَ منه (أي: التأويل بما ذكر) أنَّ أسماءَ الإشارةِ تَثْنِيتُها وجَمْعُها وتأنيثُها ليسَتْ على الحقيقة، وكذلك الموصولاتُ) [٢].

ومن التأويل المعتمد على المعنى في الإحالة بما يدل على الواحد للاثنين قوله تعالى ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤-١٥].

قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المخاطبين ديارهم، وبذلك الاعتبار وحد اسم الإشارة مع أن المشار إليه اثنان، فلا حاجة إلى جعله من قبيل ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وإن صح أي ذلك الأمر محقق ثابت) [٣].

ب- الإحالة بالمفرد للجمع:

ورد التأويل عند الألوسي في الإحالة بالمفرد للجمع والعكس، وفي هذه المسألة تعلّق بحالة كاف الخطاب، فقد ذكر النحاة أنه قد ورد فيها التصرف مطلقا بالمطابقة مع المخاطب، إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا، ومنهم من يجعلها أقل تصرفا فيفردها ويذكّرها بالفتح، أو يؤنثها بالكسر، ومنهم من لا

(١) ينظر: التذييل والتكميل: (٢٠/٦)، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل: (٢٦٠/١)، وحاشية الصبان: (٢٩٣/١).
(٢) الدر المصون: (١٩٤/١).
(٣) روح المعاني: (٢٠٠/١٣).

يجعلها متصرفة فيفردها ويذكرها في كل أحوالها[١].

ومن خلال كتاب روح المعاني، نجد أن الألوسي لم يختر مذهبا واحدا في كاف الخطاب يسير عليه، بل له رأيان فهو إما أن يجعلها متصرفة تصرفا مطلقا أو يجعلها غير متصرفة ، وبالتالي فإنه قد يذكر تأويلين عند المخالفة في الإحالة بين الإفراد والجمع.

– ومما ورد فيه الإحالة بالمفرد للجمع وأوّله الألوسي معتمدا على المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٣٠].

قال الألوسي (﴿يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: قتل النفس فقط، أو هو وما قبله من أكل الأموال بالباطل، أو مجموع ما تقدم من المحرمات من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ ﴾ [النساء: ١٩]، أو من أول السورة إلى هنا أقوال، رُوي الأول منها عن عطاء، ولعله الأظهر، وما في ذلك من البعد إيذان بفظاعة قتل النفس وبعد منزلته في الفساد، وإفراد اسم الإشارة على تقدير تعدد المشار إليه باعتبار تأويله بما سبق) [٢].

ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

حيث ذكر الألوسي أن سبب الإحالة بالفرد للجمع اعتبار المعنى.

ويجيز الألوسي هذه المسألة مطلقا فيقول (إفراد كاف الخطاب مع الإشارة جائز في خطاب الجماعة، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٥٢]).

ومما أجاز فيه الألوسي التأويل وعدم التأويل عند احتمال الإحالة بالمفرد إما لمفرد فلا تحتاج تأويل أو لجمع فتحتاج تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَىَّ

(١) ينظر شرح المفصل: (٣٦٤/٢)، التذييل والتكميل: (٢٠١/٣).
(٢) روح المعاني: (٥/ ١٦).

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

قال الألوسي (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي الصبر على ما أصابك عند ابن جبير، وهو يناسب إفراد اسم الإشارة، وما فيه من معنى البعد؛ للإشعار ببعد منزلته في الفضل، أو الإشارة إلى الصبر وإلى سائر ما أمر به، والإفراد للتأويل بما ذكر) [(١)].

ج- الإحالة بالجمع للواحد:

ومما ورد فيه الإحالة بالجمع للواحد وأوله الألوسي معتمدا على المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [الحديد: ١٠].

قال الألوسي (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى من أنفق، والجمع بالنظر إلى معنى ﴿مِنۢ﴾... ووضع اسم الإشارة البعيد موضع الضمير للتعظيم، والإشعار بأن مدار الحكم هو إنفاقهم قبل الفتح وقتالهم، ومحله الرفع على الابتداء؛ والخبر قوله تعالى: ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ﴾ أي: أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين أرفع منزلة وأجل قدراً) [(٢)].

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

في الآية إحالتان إشاريتان (ذلك وذلكم) وقد جاءت ذلكم متطابقة مع المحال إليه المتعدد، أما ذلك فلم تتطابق، وقد وجه الألوسي الإحالة بذلك في

(١) روح المعاني: (٨٩/٢١).
(٢) روح المعاني: (١٧٢/٢٧).

الآية على رأيين في كاف الخطاب أحدهما مطابقتها مطلقا لما تُحال إليه فتحتاج إلى تأويل في هذه الآية ، والآخر عدم مطابقتها، فتوحّد وتُذَكّر الكاف في كل أحوالها، قال الألوسي (﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما فُصِّل، والخطاب للجمع على تأويل القبيل أو لكل واحد واحد، أو أن الكاف تدل على خطاب قُطِع فيه النظر عن المخاطب وحدة وتذكيراً وغيرهما.

والمقصود الدلالة على حضور المشار إليه عند من خوطب للفرق بين الحاضر والمنقضي الغائب أو للرسول ﷺ ليطابق ما في سورة الطلاق، وفيه إيذان بأن المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد بل لا بد لتصور ذلك من مؤيد من عند الله تعالى) [1].

الإحالة بين الحقيقة والمجاز

في بعض مواضع الإحالة باسم الإشارة نجد الألوسي يوجه الإحالة بتوجيه معتمدا إما على الحقيقة أو المجاز، ولا شك أن ما يدفعه لذلك هو مناسبة المعنى مع السياق الذي ترد فيه الآية.

ومن الإحالات الإشارية التي احتملت عند الألوسي الحقيقة أو المجاز في تأويلها قوله تعالى ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ذكر الألوسي ثلاثة توجيهات للإحالة بهذه في الآية، وهذه التوجيهات تحتمل الحقيقة وتحتمل المجاز، والأوجه هي:

الوجه الأول: الإحالة إلى نفس القرية، مجازا، بدون تقدير؛ فالإحياء والإماتة مجازان عن العمارة والخراب.

(١) روح المعاني: (١٤٥/٢).

الوجه الثاني: الإحالة إلى أصحاب القرية، حقيقة، بتقدير مضاف، أي: أهل القرية، فالإحياء والإماتة على حقيقتهما.

الوجه الثالث: الإحالة إلى عظام القرية البالية وجثثهم المتفرقة، حقيقة، بتقدير مضاف، والإحياء والإماتة على حقيقتهما.

ثم ذكر ما يؤيد الوجه الأول ويرجحه فقال (فعلى القول بالمجاز يكون هذا القول على سبيل التلهف والتشوق إلى عمارة تلك القرية لكن مع استشعار اليأس عنها على أبلغ وجه وأوكده؛ ولذا أراه الله تعالى أبعد الأمرين في نفسه ثم في غيره، ثم أراه ما استبعده صريحاً مبالغة في إزاحة ما عسى يختلف في خلده، وعلى القول الثاني يكون اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء واستعظاماً لقدرة المحيي إذا قلنا: إن القائل كان مؤمناً وإنكاراً للقدرة على ذلك إن كان كافراً، ورجح أول الاحتمالات الثلاثة في المشار إليه بأن إرادة إحياء لأهل، أو عظامهم يأباه التعرض لحال القرية دون حال من ذكر، والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراباً أو عظاماً نخرة مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم تتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت إرادته تعالى بعمارتها ومعاينة المار لها)[(١)].

ومن ذلك توجيهه للإحالة بذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ذكر الألوسي احتمالين للإحالة بذلك أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا، فإن كانت الإحالة للباس المواري المستفاد من قوله ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي﴾ فالإحالة حقيقية، وإن كانت الإحالة إلى لباس التقوى فالإحالة مجازية، وذكر أن ذلك من قبيل الاستعارة المكنية التخييلية [(٢)].

(١) روح المعاني: (٢ / ٢٥).
(٢) ينظر: روح المعاني: (١٠٤/٨).

الخاتمة

تناول هذا البحث الإحالة باسم الإشارة من خلال تفسير «روح المعاني» للألوسي.

ومن أهم النتائج التي توصّل لها ما يلي:

١- الإحالة باسم الإشارة قد تكون قبلية أو بعدية مما يعني أنها ليست مقيدة بقيد نحوي كما في الإحالة بالضمير التي يجب أن تعود على سابق باستثناء الإحالة بضمير الشان، وكما في الإحالة بالاسم الموصول التي يجب أن تعود على لاحق.

٢- حديث النحاة والمفسرين عن مراتب الإشارة يعني أنهم راعوا حال المخاطب في الموقف الاتصالي.

٣- للقرائن الداخلية والخارجية دور كبير في توجيه الإحالة.

٤- كشفت الدراسة عن الاهتمام الكبير الذي أولاه الألوسي للإحالة باسم الإشارة ؛ وذلك من خلال بيانه لدورها الذي تقوم به في النص، والمتمثل فيما يلي:

أ- ربط السابق باللاحق.

ب- زيادة تعيين العنصر الإشاري «المحال إليه»، وذلك من خلال الحضور والمشاهدة الحسية ما بين المتكلم والمخاطب.

ج- وقد يكون «المحال إليه» غير مشاهد حسًّا، فتقيد الإحالة باسم الإشارة حينئذ استحضار صورته في الذهن، وكأنه في حكم الحاضر، وتمييز المحال إليه بما له من الصفات من خلال السياق.

د- الإحالة بـ«هؤلاء» و«أولئك» تفيد أحقية «المحال إليه» وأنه جدير بما أخبر عنه.

هـ- ومما يختص بالإحالة بـ«هذا» و«ذلك» غير الربط بين أجزاء التركيب، ورودها للفصل بين موضوعين مختلفين، فيحسن بها التخلص من الموضوع الأول كما يحسن بها الابتداء بالموضوع الثاني.

٥- المطابقة بين عنصري الإشارة «المحيل» و«المحال إليه» من أهم ضوابط الربط بالإحالة باسم الإشارة وبالتالي فقد اهتم الألوسي بهذا الجانب، وألقى الضوء على كثير من الأسباب التي تؤدي إلى المخالفة بين المحيل والمحال إليه من ناحية القرب والبعد، أو التذكير والتأنيث، أو الإفراد والتثنية والجمع.

وأرجو من الله تعالى أن يكون التوفيق قد حالفني في هذا الموضوع.

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

فهرس المراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٣- الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحوية نصية، للدكتور تامر عبد الحميد محيي الدين أنيس، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٤- الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، للدكتور أحمد عفيفي، ضمن كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، «العربية بين نحو الجملة ونحو النص»، فبراير ٢٠٠٥م.
٥- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م، رقم الطبعة: ١٥.
٦- البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
٧- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
٨- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٩- الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، للدكتورة/ خلود العموش، عالم الكتب الحديث، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١١- القاموس المحيط، للفيروزابادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
١٢- الكتاب، لسيبويه، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
١٤- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٥- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.
١٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
١٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.
١٨- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق مجموعة من الباحثين، د. عبد الرحمن العثيمين، وآخرون ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٩- المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
٢٠- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
٢١- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٣- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد البخولي الجمل.
٢٤- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن يوسف بن أحمد الحلبي، المعروف بناظر الجيش، دراسة وتحقيق: أ.د. علي محمد فاخر، وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٢٥- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٦- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، للدكتور سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٨- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٩- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر.
٣٠- شرح المفصل، لعلي بن يعيش ابن أبي السرايا، قدَّم له د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١- شرح المكودي على الألفية في علم النحو والصرف، لأبي زيد عبد الرحمن بن علي المكودي، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٣٢- شرح تسهل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك، الطائي الجيافي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٣- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣٤- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: إياد محمد الغوج، ود. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣٥- لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٣٦- مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، لمحمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.

٣٧- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣٨- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م.

٣٩- نسيج النص، للأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٠- همع الهوامع في شرح الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

***